شیزوفرینیا

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م
ردمك 4- 241- 79 – 9947- 978 (ISBN)
التوزيع الدولي للكتاب: مصر، لبنان، الأردن، العراق، السودان

اسم العمل: شيزوفرينيا
اسم المؤلف: سهام بن لمدق
تصميم الغلاف: زكرياء رقاب
المدير العام / سميرة منصوري
اخراج: فريق دار المثقف

الناشر: المثقف للنشر و التوزيع الجزائر/ ببلومانيا للنشر والتوزيع مصر
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 70 65 85 033 / 0666.76.28.50

المثقف للنشر والتوزيع

ببلومانيا للنشر و التوزيع

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

سهام بن لمرق

شيزوفرينيا

الإهـــــــداء

إلى كل مـن بـذل في سـبيل العلـم خلاصـة جهـده وسـنين عمـره لأجـل الإنسـانية... إلى كل طبيـب نفسـاني سـيكولوجي تخصـص في عـلاج الحـالات الإنسـانية والاجتماعيـة المركبـة ومنهـا مـرض الشـيزوفرينيا أو مـرض فصـام الشـخصية وأنهـى معانـاة النفـس الإنسـانية المرهفـة مـن مـرضى الشـيزوفرينيا...

إلى كل قـارئ لمجموعتـي القصصيـة والمتفهّـم لإشـكاليات وعمـق هـذا المرض...

إلى كل إنسـان ذو مشـاعر مرهفـة اتّجـاه المـرضى ومحاولة مسـاعدتهم ولـو بأضعـف الإيمـان بكلمـة طيبـة والدعـاء لهم بالشـفاء..

إلى كل مــن ســاعدني بالوقــوف إلى جانبــي بالتشــجيع المعنــوي أو الأكاديمــي..

إلى كل فرد من أفراد عائلتي...

أتقـــــــدم بالشـــــــكر والتقدير والإمتنان للجميـــــــــع...

الكاتبـــــة الأديبـــة

ســـــــــــهام بـن لمـــدق

الجـــــــــزائر

الغايـــــة

هـي مجموعـة قصصيـة قصـيرة من وحـي خيـالي وإن تشـابهت أحداثها مـع بعـض الحـالات فهـي مـن قبيـل الصدفـة... أسرد فيهـا حـالات لمـرضى فصـام الشـخصية المسـمى الشـيزوفرينيا Schizophrenia أو الاضطـراب النفـسي الـذي يتسـم بسـلوك اجتماعـي غـير طبيعـي وفشـل في تمييـز وتقبّـل الواقـع ومـا يصاحبـه مـن أوهـام واضطـراب الفكـر والهلوسـة السـمعية إضافـة إلى الانطـواء والعزلـة الاجتماعيـة وعـدم القـدرة عـلى التكيـف العاطفـي وانعـدام الإرادة...

ليـس فيهـا فوبيـا، لكنهـا تحـوي معـاني راقيـة ومفيـدة وشـاملة عـن الطيبـة في الحيـاة والتـي تبعـث الحـب والـود والتفكـير الإيجـابي الـذي يتغلـب عـلى مخاطـر الحيـاة بعنـاصر الخـير والعطـاء والـذي يصـل بـه القـارئ إلى نتيجـة سـعيدة...

المقدمــة

في مـاضي الزمـان، كانـت الجـدات تـروي لأحفادهـنّ حكايـات وقصـص لطيفـة كانـت بمثابـة السـمر والسـهر المسـائي... ولم يسـعفني الحـظّ لسـماعها ومواكبـة عصرهـا... لكننـي مـن فـرط شـوقي لسـماع تلـك الحكايـا كنـت أطالـع القصـص في درس المطالعـة والنصـوص في مرحلـة الدراسـة الإبتدائيـة، حيـث كان المعلـم يفـرض علينـا قراءتهـا وتلخيصهـا...

لم أكـن أحـس بأنهـا قـد فرضـت عـليّ... بـل كنـت أنتظـر يـوم الاسـتدراك لأتعـرّف عـلى قصـة جديـدة...

ورغـم أني لم أحفـظ مـن القصـص شـيئًا، لكننـي كنـت أسـتوعب الـدرس منهـا وأطبّقـه في حيـاتي اليوميـة...

كـبرت وبقيـت عـلى ذلـك الحـال... أحـبّ مطالعـة القصـص، ولكـن هـذه المـرة أصبحـت أميـل إلى الروايـات الرومانسـية الوجدانيـة والبوليسـية التـي كانـت بحـوزة أخـي... والكتـب الدينيـة التـي كانـت لأبي (رحمـة اللّـه عليـه) لكننـي أحببـت لـو أني أقـرأ قصـة لي أجـد فيهـا حكايـا عـن الشـيزوفرينيا...

فـكان نتـاج ذلـك، مجموعتي القصصية الموسـومة بـ (الشـيزوفرينيا)...

القصة الأولـــى

قصة فتـاة مع مــلاك...

الجزء الأول //

من تكون الفتـــــــاة...؟؟؟

كانـت فتـاة صغـيرة، تكـبر وتنمـو في وسـطٍ مـن الملائكـة ذوات أجنحـةٍ مثنـى وثـلاث وربـاع...

فتـاة جميلـة بعينـين زرقاوتـين، صغـيرة السـنِّ، فطنـة كبـيرة العقـل... كل يـومٍ جديـد تتعلـم درسًـا مـن دروس الحيـاة دون تجربـةٍ لهـا... تشـعر بثقـة في النفـس واعتـداد بالـذات... يـتراءى لهـا أن الجميـع مـن حولهـا يمتلـئ بالغـيرة منهـا!!

فتـاة لطيفـة... ولـدت يـوم زادت فيـه (مـلاك)... جميلـة وأنيقـة بألوانهـا الزهيـة والبهيـة، تحـلّي حليـب الإجاصتـين بنقـط مـن العسـل تسـقي بـه شـجرة عائلـة حوريـة، فتسـطّر بـه طريقـا للطيبـة في قلبهـا!!

(عـذرا، لم أخبركـم مـا اسـم الفتـاة... عنـد ولادتهـا سـميّت بـ (حوريـة) و(مـلاك) تحبهـا كثـيرا، وكأنهـما توأمتـين...) كـبرت حوريـة، وأصبحـت ترتـدي لبـاس العلـم والأدب مزيّـن ومطـرّز كثيـاب الأمـيرة الحسـناء، ناصعـة كبيـاض الثلـج، نقيـة القلـب، لا تحمـل غـلًّا ولا كرهًـا لأحـد، لكـن هنـاك مـن يكـنُّ لهـا السـوء ويضمـر الحقـد والغـيرة، مـن كونهـا محروسـة!!! حوريـة تفضّـل النـوم عـلى سريـر مـن مرجـان، وأمامهـا زهريـة مـن لؤلـؤ تحـوي ورودا تفـوح عطـرًا وهّاجًـا...

أما ملاك، فكانت ذات أجنحة زهرية اللون يزيّنها ثوبا يشعُّ نورًا، تنام على سرير حريريّ من بتلات الورد، تغتسل بعطره وتتمشط برحيقه... ها هي ملاك، دكتورة في علوم الحياة والطاقة.

أعلم أنكم تتساءلون عن أيّ لباس علم وأدب قد ارتدته حورية، وأيّ علم هذا الذي يسمى بعلوم الحياة والطاقة؟؟

كما ذكرت سابقا... حورية من شجرة طيبة محروسة بملائكة تحوم حولها، تريها الطريق السويّ من الأدب والأخلاق الحميدة، تعلّمها الحكمة والموعظة...

أما ملاك فهي من نور ربّاني يضيء طريق كل مجتهدٍ في الخير... كلها طاقة إيجابية، تتفاعل بها مع شجرة العائلة بيخضورها مع الطاقة الضوئية التي تتغذى منها...

الجزء الثاني الخلوة مع الزات

حورية فتاة شديدة الذكاء، ذات خيالٍ خصب، فيه كل الإمكانيات محققة وإن لم تكن موجودة في الحقيقة، كان إيمانها بربها كبير، ولا تقنط من رحمته أبدا... في كل ليلة، وحين تضع رأسها على الوسادة، تغمض عينيها، حتى وإن لم يحضرها النوم، تغالب النعاس لرؤية الملائكة، تعتصر عميق إيمانها في داخلها بذكر اللّه في خشية دون رهبة، تحدّث ربها في خفية دون جهر عمّا جرى في يومها بكل تفاصيله ودقائقه، وما تتمناه أن يتحقق في غدها... من هنا تبدأ الحكاية...

ما الذي يجري في أيامها؟ وما الذي تريد تحقيقه؟ هل هناك ما تتخاصم من أجله ...؟ لا أظن... هل هناك من عائق يعترض طريقها أو يجعلها في حيرة من أمرها ..؟ طبعا لا... لأنّ ثقتها بربها كبيرة وهي لا تقنط من رحمته... ما الذي يجري يا ترى...؟؟

كانت حورية تبحث عن ملاكها وحارسها، تتضرع للّه ألاّ تفارقها خوفا من أن تضيع في دهليز الحياة، ومشاقها التي تعلم مجرياتها رغم أنها لم تعشها... كما ذكرت سابقا... حورية تركّز على رؤية ملاكها في المنام...

كلما أغمضت عينيها حين تغفو ترى نور طيفٍ، فتستيقظ في هلع ثم تبتسم بعفوية فيرتاح بالها ويطمئن قلبها لوجود ملاكها الحارس بجانبها..!

وفي إحدى الليالي، استيقظت في سَحَرٍ من الليل تبغي صلاة الفجر بعد أن أقامت طقوس قيامه ورجعت لتكمل نومها بعد شعورها بالتعب، أحست بيدٍ حانيةٍ تربت على كتفها الأيسر، فاستدارت إلى اليسار، فرأت سيدة ترتدي ثوبا أبيض، تتشح ببياضٍ يغطي رأسها، يسطع وجهها نورًا وبهاء... فلم تكترث، فمالت بوجهها عنها وهي تسمع همسات منخفضة توحي لها... نامي يا حبيبتي، أنا هنا معك... فاستسلمت حورية لنوم عميق دون أن تنتبه إلى أنها حقيقة، وليست أضغاث وأحلام!!

الجزء الثالث الحديث مع الذات

مع إشراقة شمس صباح جديد بضوءٍ على غير عادته، انتشر من شرفة نومها وهي نائمة كملاكٍ حالم، فلامس خدّيها، بارقًا يداعب عينيها المغمضتين، فاستيقظت بشوقٍ وأملٍ لما يخبئه لها القدر في يومها الجديد وهي تكشف عن عينين زرقاوتين حالمتين كسكون البحر...

استرجعت مكبوت ليلتها حين رأت ذاك المنام في هذا الصباح، لم تنتبه إلى أنه ليس بمنام، بل هو حقيقة، لكن بما يوحيه خيالها!!

تكرر ما حدث في الليلة التالية، لكن هذه المرة احتارت بين تصديق ما شاهدته أو الشك والنفي واعتباره محض خيال، وكل ما كانت تود رؤيته هو ملاك في المنام...

صار المشهد يتكرر عدة مرات، فأصبحت تفكر فيما ينتابها، وفي نفسيتها وهي تحاول التخلص من ضجيج مخاوفها وهواجسها، وظنونها التي قد تقودها للجنون..!!

الآن تحدث نفسها بطريقة لايفهمها إلاّ من مرّ بما تمرّ به...

في كل ليلة تغمض عينيها كعادتها، ولكن هذه المرة صارت تكلم عقلها الباطن... كانت تجزم بأنها ترى ملاكها الحارس حقيقة وليس خيالا، وهي تقول لعقلها أنها سترى ملاكها في الغد...

هل يا ترى تحقق مرادها؟؟

لنرى ما جرى في اليوم التالي...

الجزء الرابع محادثة الخيال

سنتركها الليلة تنام دون إزعاج ...

حورية فتاة لطيفة، وإن دغدغتها الأيام بمشاكلها، فهي تضحك كمن يرتشف قهوة الصباح مرّة دون قطعة سكّر أو قطعة بسكويت، ويطيل تذوقها بمرارتها وهو يحاول تلذذها مشكلا فكرة معاكسة للحقيقة، فيصبح مرّ القهوة حلوها... كذلك هي الحياة بمشاكلها...

حورية تعيش المشكلة كما هي... متأهبة لما سيجري بعدها ونتائجها... وهي تحاكي عقلها الباطن المرتبط بمناجاة المولى عزّ وجل، فتعيش المشكلة وكأنها قد حلّت، فتفرج حقيقة وتتلذذ باستجابة اللّه لها...

في صبيحة اليوم التالي، أيقظتها ملاك، ففتحت تلك العيون البراقة التي تبثّ في من رآها حبًا للحياة كحبّه لزرقة السماء والبحر...

استيقظت هذه المرّة يانعة موردة الوجنتين، أرجوانية الشفتين ممتلئة بالحيوية منتظرة رؤية ملاك، فرأتها حقيقة وكانت فرحتها تسع عالمها الدنيوي وآخرتها المخفية في ظل رحمة المولى عزّوجل...

كانت كالمسحورة في روض الجنيّات الطيبات، تكاد لا تصدّق ما تراه عينيها...

قالت: وأخيرا تحقق حلمي، رأيتك يا ملاك... يا من لم تفارقيني منذ ولادتي.. كنت أحس بوجودك جانبي، تحومين من حولي بأجنحتك الجميلة، وأنت أجمل الجميلات...

أنت من تداويني إذا مرضت، وأنت من توجهيني إذا أخطأت، أنت ملاكي،

وأنـا خادمتـك حوريـة..!!!

كأنهـا فقـدت وعيهـا، ترفـع يديهـا الناعمتـين إلى السـماء، تتـضرع **لله** شـاكرة وتـدور حـول نفسـها ممسـكة بيـدي مـلاك... مـن يراهـا يقـول أنهـا مخبولـة، لأن مـلاك لا تظهـر للعيـان... كانـت تبـوح لمـلاك عـمّا يجيـش بصدرهـا في صمـت كي لا ينكشـف الـسر فيظـن الجميـع أنهـا قـد جنّـت...

مـلاك تسـمع وشوشـات حوريـة ومـا تقولـه بصمـت، كأنهـا تعلـم مـا تـسرّه، فترفعـه إلى السـماء فينتـشر خـبره بـين صنـوف الملائكـة...

الدكتـورة مـلاك، فكّـرت في خطـة تجعـل فيهـا حوريـة تعيـش الحيـاة بمجرياتهـا وأقدارهـا، فقـررت الاتفـاق معهـا عـلى أنهـا إن نجحـت في تجربتهـا لمـا يعيشـه البـشر فـإن مـلاك سـتتحول إلى بشريـة وتكـون صديقتها للأبـد... وهكـذا اتفقنا!!!!

الجزء الخامس الأسئلة المحيـّرة...

حورية تفكر في التغيير الذي ستنتقل إليه...

فرحتها جعلتها تحلّق كطيور النورس في فضاءٍ بعيد... لا يوجد فيه سـواها وملاك...

تساورها الحيرة، كيف لملاك أن تصبح بشرا بمجرد نجاحها في هذه التجربة؟

مع ذلك كانت واثقة كلّ الثقة في نجاحها، وأنها ستتخطى كلّ الصعاب...

مرّت الليلة دون أحلامٍ هذه المرّة ، لأنها أصبحت حقيقة... !!!!

ارتـدت ثيـاب نومهـا السندسـية، وتمـددت فـوق سريرهـا المرجـاني، وتوسّـدت مغامراتهـا المشـوقة التـي تنتظرهـا عـلى أحـرّ مـن الجمـر، كي تصبـح صديقـة لهـا أمـام النـاس، تتباهـى بهـا وتشرّفهـا وتجدهـا في حياتهـا ذراعهـا الأيمـن والقلـب

الحنـون المحـب..!!

(في ليلـة البارحـة، غفـوت وأنـا أحـاول التقـاط أفـكاري مـن بـين دفاتـر الأيـام المسـطّرة في خيـالي)

صباحكم سعادة...

اليـوم اسـتيقظت حوريـة سـعيدة مغتبطـة... ارتـدت معطفهـا، وشـدّت حـزام الأمـان، وخرجـت مسـتقبلة الحيـاة بمـا فيهـا...

الجزء السادس لعنـة الحـبّ .....

عنـد خروجهـا مـن البيـت، بأبهـى حلّتهـا، وبزينـة بلقيـس، اتجّهـت في طريقهـا نحـو اليمـين، فالتقـت هنـدًا، زميلتهـا مـن أيـام الدراسـة، فتبادلتـا السـلام والعنـاق، وسـألت كل واحـدة منهـنّ عـن حـال الأخـرى...

ردّت حورية قائلة أنها بخير، وحمدت اللّه على ذلك...

لكـن هنـد، أحسـت باختنـاق العـبرات في حلقهـا، تنظـر لأسـفل بانكسـار واضـح، فانتـاب حوريـة القلـق، فسـألتها إن كانـت أمورهـا عـلى مـا يـرام، لكـن هنـد ذرفـت مـن عينيهـا سـيل دمـوع وسـحابة حـزن ووجـوم كسـت وجههـا النـديّ...

عاودت حورية السؤال، قالت ماذا يجري لك يا هند...؟

حينهـا سردت هنـد حكايتهـا مـع أوس... وقـد كان أوس شـاب يافـع ذو عنفـوان، وبنيـة قويـة، وسـيم يتباهـى بوسـامته أمـام جميـع فتيـات الجامعـة...

أحبتـه هنـد بصـدق وبعمـق... وكانـت تكتحـل بالـتراب الـذي يمـشي عليـه... معجبـة بوسـامته وبهائـه... تـرى فيـه فـارس أحلامهـا وأمـل لحيـاة جديـدة بعـد

إكـمال دراسـته...

كانـت تتمنـاه ربّ بيتهـا وأبًـا لأولادهـا، لكنهـا عميـت عـن رؤيـة مسـاوئه تمامـا، أحـسّ بحبهـا لـه، رغـم أنهـا لم تبـح بمـا في قلبهـا لـه، فاقـترب منهـا لإذلالهـا ويجعـل منهـا فتاتـه العاشـقة ثـم يرمـي بهـا بعـد إرضـاء غـروره منهـا، وقـد نجـح فيـما رسـمه لهـا، وهـا هـي تسـأل عـن حـلٍّ لمشـكلتها عنـد حوريـة...

ردّت عليهـا حوريـة بعـد التفكـير في أمرهـا: حبيبتـي، لقـد أخطـأت في اختيـارك، وخدعتـك مشـاعرك دون أيّ تفكـير، بالرغـم مـن فطنتـك وذكاؤك وسـعة عقلـك... كيـف وقعـت في شِـباكه وحبائلـه...؟ وكيـف لم تـري سـوء أخلاقـه وإن كان يظهـر محاسنه...؟

أمهليني بعض الوقت وسأجد لك الحل وأساعدك، غاليتي...

عادت حورية إلى بيتها بعد توديعها لهند، واتفاقها لموعد لقائهما القادم...

وضعـت رأسـها عـلى وسـادتها الحريريـة وهـي ممـددة فـوق سريرهـا المرجـاني... تسـتعيد أحـداث اليـوم وتفكـر في حـل مشـكلة صديقتهـا...

أيقنت بعد توكلها على اللّه بثقتها في إيجاد الحل بفضل اللّه...

عنـد النصـف الأخـير مـن الليـل قامـت وصلّـت قيـام الليـل، متضرّعـة خاشـعة، ثـم صلـت بعـده الفجـر...

أخـذت قلمهـا الذهبـيّ وكتبـت رسـالة لأوس، وفي الصبـاح دسـتها في صنـدوق بريـده الموجـود خـارج حديقـة منزلـه... كتبـت فيهـا: كـما تديـن، تُـدان... مذيلـة باسـم فاعـل خـير...

وحين فتح أوس صندوق البريد وجد الرسالة، وبعد أن قرأها أخذ يتلفت يمينا وشمالا يبحث عمّن دس له الرسالة... بينما كانت حورية تراقبه من بعيد، تخفي نفسها بين أغصان أشجار الحيّ...

انتاب أوس خوف وقلق شديد لم يحسه من قبل... فقالت حورية في نفسها: الذي في بطنه التبن يخاف من النار...

أرسلت له ثلاثة رسائل تحمل ذات المضمون...

ومن شدّة خوفه وازدياد قلقه لم يجد إلاّ هند ليخبرها ما جرى معه... هاتف هندا وطلب منها رؤيتها في أمر يخص حياته... لكنها لم تصدقه هذه المرة، وقالت له لا يلدغ مؤمن من جحرٍ مرتين...

قصّ عليها قصّته عبر الهاتف، فضحكت وقالت له ليس بيدها ما تساعده به... تأسفت له وأغلقت الهاتف في وجهه...

فاحتار مجدّدا وهو يشعر بالرعب وأنه غير مرغوب فيه...

حدث هذا قبل يوم واحد من موعد لقائها بصديقتها حورية...!!

في اليوم التالي حان موعد اللقاء، والتقت بصديقتها، وقصّت عليها ما جرى لأوس، فضحكت حورية وقالت لها: سيكون هنا تحت قدميك نادما يتوسّل طالبا منك المغفرة ...

فهمت هند من كلام حورية أنها هي من أرسلت له تلك الرسائل، وها هي تنتظر النتيجة...

أوس يعمل كأستاذ في الفنون الجميلة... قررت حورية أن تتعلم فن الرسم

على يديه، ليست رغبة ولا انتقاما لزميلتها، بل لتجد حلّا إيجابيًا لكليهما... بعد تعلمها الرسم في مدة قصيرة جدّا لم تتعدّى بضعة أيام، رسمت حورية لوحة تظهر فيها فراشة يأكلها عنكبوت... احتار أوس، الأستاذ النبيه من تفسير رسمها، فطلب منها اختيار اسما للوحتها... فقالت: (لعنة الحب)... فسألها، لماذا هذا العنوان ..؟

فردّت عليه بثقة في نفسها وهي تضع يدها على قلبها... ارتمت فراشتي الصفراء بين حمرة الأزهار، وكأنها في تورّد خدّيها، تبحث عن رحيق الحب بين أضلع الشجر المورق والمزهر... ها هي المسكينة ترتجف بعد تشبثها دون نجاة بخيوط العنكبوت...

حاولت عدة مرات الانسلاخ مما كان يدور بنيّتها...

جاءت المسكينة تبحث عن حب الزهر فأطاح بها القدر بحب العنكبوت الذي لا مفر منه إلا بتسليم الروح والجسد حتى مغادرة الحياة... وهكذا لم تصب إلاّ بلعنة الحب...!!

فاحتار وقال لها: هل أنت عاشقة؟ فردّت ضاحكةً، وأنت! هل كنت يوما عاشقا؟

فلم يجد ما يقوله، فسألته مجدّدا: هل لك من عاشقة؟ فضحك قائلا: اووو الكثيرات،

فابتسمت قائلة له، إذن الكثير من الجريحات...

فردّ: لماذا...؟

قالـت : كلـما كـثرت العاشـقات ولم تحـبّ منهـنّ واحـدة فسـيكون فيهـنّ جريحـات، وإن لم تكـنّ كثـيرات فهنـاك واحـدة تبـكي وجروحهـا تنـزف... ولا تقـدر أن تلعـن الحبيـب كالكثـيرات، لأنهـنّ مـن نفـس طينـة المتلاعـب بمشـاعرهن، ويمكنـه أن يكـون جريحـا ينـزف، لـو أحـبّ بصـدق كـما جـرح العاشـقة المحبـة الصادقـة، وذلـك مـن واحـدة تحمـل نفـس صفاتـه...

كـما أنـه ذكي، اسـترجع في ذاكرتـه فعلتـه الدنيئـة مـع هنـد، التـي أحبتـه بمشـاعر صادقـة ووهبتـه قلبهـا وعميـق وجدانهـا...

دق الجـرس معلنـا انتهـاء الـدرس، فغـادرت القاعـة، لا تلـوي إلى شيء... هاتفـت هنـد حوريـة، بعـد وصولهـا للمنـزل تحـكي لهـا عـما قالـه لهـا أوس... هاتفهـا وهـو يشـعر بالنـدم والأسـف يرجوهـا المغفـرة والسـماح، ويبـدي شـكره للفتـاة التـي تكلمت معه بلطف وحكمـة، وأنارت بصيرته وحاكمـت ضميره بلين...

ردّت حورية قائلة لها: هل من جديد سيحدث ؟

قالـت: أن أكـون لـه، ولـن أعـود إليـه، فمـن جـرح مـرّة سـيجرح مـرات، ومـن طلـب السـماح مـرّة سـيعيد الكـرّة مجـدّدا... وأنـا لا أريـد نزيفـا آخـر لجراحـي التـي لم تندمـل بعـد...

فرحـت حوريـة قائلـة لصديقتهـا: توخـي الحـذر حبيبتـي في المـرّة القادمـة ولا تجعـلي حياتـك مرتبطـة بشـخص، بـل اتـركي التدبـير للّـه ربّ الكـون وتـوكلي عليـه .....!!

الجزء السابع التمرد على الحقيقة

أصبحت حورية تحدث نفسها كثيرًا بكل ما جرى معها في قصة هند وأوس، وأصبحت تشعر بأنها التوأم الحقيقي لملاك، لأنها كانت تحميها كما قامت هي بحماية زميلتها هند من الخطر المحدق بها من قبل أوس...

صارت شديدة الحساسية، وكلما حدثتها والدتها عما يجري لها تبلّمت وصارت كالصمّ والبكم الذين لا يشعرون، وإن حاولت إمساكها من ذراعها تصرخ وهي تتمتم... اتركي ذراعي، فأنت لست بملاك..!

تفاقمت حالة حورية عند فقدانها لملاك لليلة واحدة...

تنتظر ملاك كلّ ليلة، لكنها لم تعد تظهر لها، فانتابها شعور بالخوف، فآثرت العزلة والانطواء، تقفل باب غرفتها على نفسها، تحدّث ذاتها مرارًا وتكرارًا، تناجي ربها ألاّ تتركها ملاك..!!

من تذوّق العسل فمن المحال أن يستغني عنه، وإن كان سكّره يضرّ بصحته.

تغيّرت أحوال حورية، ومرّت بوعكة صحية شديدة دون أن يعرفوا سبب علّتها وطريقة علاجها، تنام كثيرا، لا تكاد تستفيق إلاّ حين تشعر بالظمأ فتستقي بالماء ظنًّا منها أنه عسلاً من عسل ملاك، وكلما ارتوت قالت: ما أحلاه يا ملاك..!!!

وكانت والدتها تقول لها: أنت ملاكي يا حبيبتي، وأنا حارستك، وهي تربت على كتفيها وتحاول ضمّها إليها، لكنها لم تلق إلاّ الابتعاد والنفور من حورية...!!

وذات ليلة من ليالي المرض الذي ألمّ بالفتاة الطيبة الصبورة والذي جعل

منها بركان غضب، عصبية منزعجة من كلّ شيء حولها، تبحث عن ملاكها في كل ركن، وكلّ زاوية في البيت، رافضة كل أنواع الحديث مع أفراد أسرتها... في تلك الليلة، بينما كانت تغطّ في نوم عميق، رأت نفسها وكأنها تطير بأجنحة محلّقة في السماء كالملائكة، متخيلة نفسها أنها قد أصبحت ملاكا بعد إحساسها بأنها ذات قوة ربّانية وقدرات لا مثيل لها...

انتفضت من فراشها تصرخ وتصيح، مرعوبة من أفراد أسرتها، متهجمة عليهم على غير عادتها، تقول لهم: أنتم تكرهوني، وتغارون مني، وتحاولون قتلي، أنتم وجميع زملائي لأنكم صرتم تعلمون أني أصبحت ملاكًا، وأن ملاك لن تصبح بشرا مثلما كانت، ولن تكون الأخت والصديقة المقرّبة لقلبي... لقد غادرتني ملاك وأنا الآن تحولت إلى ملاك حتى أستطيع البحث عنها، وسأجدها بإذن اللّه...

ما لكم أحبّتي، هل احترتم فيما أصابها ..؟؟ مع كبر المعضلة إلاّ أنها لم تنس ذكر اللهّ...

الجزء الثامن حيرة العائلة

تفاقمت حالتها وأخذت تزداد خطورة يوما بعد آخر... والعائلة محتارة... لم تجد ما تقوم به، فتحاول الأم أخذها إلى طبيب عام، ولكن الجميع يرفضون خشية معرفة الجيران بحالة حورية، ثم ما لبثوا أن اقتنعوا بأخذها إلى طبيب مختص بسبب سوء حالتها النفسية والصحية أكثر...

مكثت الفتاة في المستشفى لمدة تجاوزت ثلاثة أشهر، تلّقت فيها العلاج

الـلازم والعنايـة الصحيـة والنفسـية المناسـبة لهـا ، وبعـد مغادرتهـا المستشـفى أصبحـت وكأنهـا مخـدّرة ، لا تكلـم أحـدا، ولا تتشـاجر مـع أحـد، وأصبحـت أكـثر هـدوءً، في الوقـت الـذي التزمـت العائلـة بـكل مـا أمـر بـه الطبيـب بعـدم إزعاجهـا وتوفـير الأجـواء المناسـبة لهـا وعـدم إهـمال الجلسـات الطبيـة مـع طبيبهـا النفـسي في مواعيدهـا بدقّـة...

كـما بـيّن لهـم الطبيـب أن حالتها ستسـتقر أكـثر مـع إظهـار حبهـم لهـا والحديث معهـا ومؤانسـتهم لهـا كلـما أحسـوا بأنهـا منفـردة منطويـة، وضرورة أخذهـا للمستشـفى إذا مـا انتكسـت حالتهـا مـرة اخـرى...

في حقيقـة الأمـر، اسـتقرت حالـة حوريـة النفسـية، لكـن ظاهريـا... لم تنفك تبحث عـن مـلاك بداخلهـا وحولهـا، تشـعر بأنهـا خذلـت بسـبب حبّهـا المفـرط لهـا... وذات يـوم، وفي إحـدى جلسـاتها الطبيـة، كان الحـوار مسـتمرا بينهـا وبـين طبيبها، سـألها الطبيـب عـن حالهـا مـع صديقاتهـا وزميـلات دراسـتها وإن كانـت تتواصـل معهـنّ بـأي شـكل مـن الأشـكال...

التزمـت الصمـت وبعينـين تائهتـين لا تـكادان تسـتقران عـلى مـكان مـا، تحـرك يديهـا بسرعـة وانفعـال واضـح، وتوقـدت في عقلهـا الباطـن نـيران شـك وريبـة مـن صديقتهـا هنـد... !!!

لم تذكـر مـا حـدث، سـوى أنهـا بسـبب هنـد، فارقتهـا مـلاك، وأصبحـت أكـثر هيجانـا وهـي تـردّد:

اللّعنة... اللّعنة ياهند... رحلت ملاك وتركتني لوحدي أتعذب...

بعثرت وكسرت كل شئ كان على مكتب الطبيب، فيما كان يحاول أن يهدئ من روعها وترويض غضبها... يسألها من هي ملاك...؟؟؟

تسكت برهة وتجيب بعدها: أنها هي... لا توجد ملاك، الملاك هي أنا...

ابتسم الطبيب قائلا: طبعا، أنت هي الملاك، وأنت من تحبّك عائلتك جميعها، وأنت من ستسعديهم بنجاحك وتفوقك في الدراسة... أنت فتاة ذكية، ويحبك جميع أصدقائك وزملائك...

شعرت بشيء من السكون والراحة وقالت: هل أنت متأكد...؟؟؟؟

أجابها: نعم، وأنا فخور وسعيد بك...!!!

أو مات برأسها بتباريح الرضا وشعرت بشعاع السعادة يتدفق بين ثنايا روحها...

الجزء التاسع الحديث مع لوحة

أصبحت حورية تخرج لتلتقي بزملاء الدراسة، كلما سنحت الظروف للقاء في كافتيريا يرتاده الطلبة بالقرب من الجامعة، وذات يوم بينما هي جالسة مع صديقاتها في الكافيتريا مرّ أوس بجانبها وهي تتخذ مقعدها قرب النافذة... أحست بارتباك وتشتت أفكارها، وانتابها خوف شديد خشية انتقامه كما تظن... أخذت حقيبة يدها ودون أن تستأذن من زميلاتها خرجت مسرعة كالبرق... وعند وصولها لمنزلها ارتمت على الأريكة لتستعيد أنفاسها وهي تلهث بخوف هربا من أوس...

تناولت مفكرتها الصغيرة لتدون فيها بعض مذكراتها... كتبت في صفحتها: أوس سيقتلني... ثم محت ما كتبته، وكتبت: أنه يحبني لأنه كان معلمي..

(كـما تعلمـون أنـه كان أسـتاذها في الرسـم)... لكـن مـلاك تكرهنـي... لا أدري لمـاذ..؟

ثم أخذت ترسم صورة في مفكرتها...رسمت صورة غراب...!!!

كانـت كلـما فتحـت المفكـرة تحـدّث تلـك الصـورة وهـي تبـكي... ولمـا رأتهـا والدتهـا وهـي تبـكي وتدعـو اللّـه أن يسـامحها إن أخطـأت وتطلـب منـه أن يعيـد لهـا مـلاك...

لم يكـن لهـا إلاّ أن تصطحبهـا إلى الطبيـب وأخبرتـه عـن قصتهـا مـع الصـورة التـي تحاكيهـا وهـي تبـكي وتتمتـم، ففتـح الطبيـب المفكـرة بعـد الاسـتئذان منهـا وأخـذ موافقتهـا كي لا يشـعرها بالنقـص أو انتهـاك خصوصياتهـا دون رغبتهـا وليعكـس لهـا صـورة إحترامـه وتقديـره لشـخصيتها وكينونتهـا...

سألها: لماذا هذه الصورة السوداء؟ ولماذا تبكين؟

أجابتـه بعـد تنهـدٍ عميـق: كانـت كقطـرة حـبرٍ صينـي أسـود فـوق بيـاض أوراق مفكـرتي... كنـت أحـدّث طيفهـا وأنـا أحـرك قلمـي فـوق أوراق صـدري... لم أكتـف بـسرد قصصهـا روايـات لا تنتهـي... ذاك السـواد أخفـى عنـي ملامحهـا، لم يبـيّن لي الخيـط الأبيـض مـن بـين سـطوري، فقـط حاولـت رسـمها باسترسـال في ذكريـات ناصعـة البيـاض، فاسترسـل القلـم ينـزف مـن مـداده ذاك البيـاض، فتشـكّل لي صـورة غـراب...

اسـتغرب الطبيـب مـن هـذه الكلـمات وهـذه المعـاني، فاسـتمر في متابعـة علاجها، طالبـا منهـا رسـم أيّ شيء يمـرّ بخاطرهـا، وأيّ شيء يـترك في ذاتها فرحا أو شـجونا...

استبشر الطبيب خيرا في تحسن حالتها وستخرج من دوامة اللاوعي، لكن يراوده بعض الشك إن كانت ستتخلص من حالة الفصام أم لا؟؟

في كلّ مرة يحاول أن يشرح لها مفهوم مرضها بدقة علمية، لعلمه أنها في مستوى دراسي جيد وممتاز وأنها متفوقة في جميع أعمالها، لكن رغم ذلك وقعت ضحية هذا المرض...

الجزء العاشر إبحار في الشيزوفرينيا بطوق نجاة

حين تحرّك الوعي في العقل الباطن لحورية، استرخت فوق سريرها المرجاني وهي تنظر إلى زهرية الورد المرصّعة باللآلئ، وتستمع إلى قرص مدمج ينساب منه صوت ترتيل لآيات القرآن الكريم... استسلمت للنوم وهي تحلم بمساكن الملائكة، والجنان الخضر التي تجري من تحتها الأنهار فيها ملائكة تكتسي بثيابٍ خضر من سندسٍ واستبرق وكانت من بينهم (ملاك) حارستها وملاكها وتوأم روحها...

أجهشت بالبكاء ولاذت بالفرار منها... لحقت بها ملاك وحين استوقفتها، بدأت حورية بمعاتبتها وهي حانقة يغلي الدم في عروقها وكأنها الطفلة الصغيرة التي تعاتبها أمها حين تخطئ... وما كان منها إلاّ أن رمت نفسها في البحر ولحقتها ملاك لنجدتها وقد غاصت وهي تعوم بطريقة لا مثيل لها... يدها بيد ملاك التي تركتها وهي في أمسّ الحاجة إليها، فلما اعتلت سطح البحر تمثّلت لها صورة أمها بدلا عن ملاك، فاستيقظت من نومها وهي في حالة فزع ودهشة... ووجدت والدتها بالقرب من سريرها وهي تحضنها

وتدعـو لهـا، فقصّـت عـلى والدتهـا مـا رأتـه في منامهـا، فـردّت عليهـا والدتهـا: لكنـك لاتعرفـين السـباحة ولم تلجـي البحـر يومـا...

قالت: نعم يا أمي، لا أدري ما الذي أصابني...!!

فابتسـمت والدتهـا وهـي تقبّـل جبينهـا قائلـة لهـا: نامـي يـا حبيبتـي وارتاحـي، مـا هـذا إلا كابـوس فظيـع وانتهـى...

سـطعت شـمس نهـار جديـد فاسـتيقظت حوريـة ووجـدت نفسـها عـلى سريـر مـن خشـب وليـس مـن مرجـان، والـورد في زهريتهـا قـد ذبـل لأنهـا لم تعتنـي بـه، وزهريـة وردهـا زجاجيـة وليسـت مرصعـة بلآلـئ، وفسـتان نومهـا مـن حريـر وفرشـة سريرهـا مـن كتّـان مقطّـن...

تأملـت كل ذلـك وسـط دهشـة وذهـول وهـي تحمـد اللّـه عـلى نجاتهـا مـن الغـرق باحثـة عـن والدتهـا التـي وجدتهـا في المطبـخ تحـضر لهـا فطورهـا كي تصطحبهـا إلى عيـادة الطبيـب، فقبّلـت يـدي والدتهـا باسـمة مشرقـة المحيـا وهـي تقـول: شـكرا يـا أمـاه... أنـت مـلاكي الحقيقـي، وسـأظل بقربـك ومعـك أينـما تكـوني...

طلبـت منهـا أمهـا الجلـوس عـلى أريكـة بلقيـس... ضحكـت الفتـاة وهـي تقـول: سـأجلس عـلى كـرسيّ الخشـبي الـذي صنعـه لي والـدي بيديـه ومـن جوهـر قلبـه رصّعـه... فضحكـت الأم مـن شـدة فرحتهـا...

بعـد الفطـور أسرعـت حوريـة إلى غرفتهـا، فتحـت مفكرتهـا ودوّنـت فيهـا آخـر وعـاء لهـا وهـي تناجـي ربهـا خالقهـا وخالـق الكـون كلـه...(يـا بطـلا في دجـى

الليـل مغـوارا، تمتطـي الحصـان المبـارك، تحـت رعـود القلـب المنتـشي بحـب كبـير، المعبّـق بالمسـك مـن قـرار البحـر... تـراني أمـشي فـوق موجـه وكأنـه زرع لعشـقٍ أبـديّ لم يغـادر قلبـي... هـل لـك أن تحمـل القلـب المرتمـي في حضـن السـماء دون تمـرّد؟ فأنـت المالـك الوحيـد والحكـم، فاحكـم إذن بالشـوق لـه ولا تقتـل حبيبـا لحنينـك منتظـر...!!

ذهبـت بهـذه الكلـمات إلى طبيبهـا تحـكي لـه عـن كيفيـة اسـتيقاظها عـلى حقيقة لم تعشـها منـذ طفولتهـا أسرتهـا حقيقـةً كانـت تشـتاق لهـا منـذ مـدة طويلـة تعدّ بالسـنين الضوئيـة، ففـرح الطبيـب وحمـد ربـه وقـام بتقديـم حالتهـا في مؤتمـر طبـي عـن الشـيزوفرينيات... وقـد ألقـت الفتـاة كلمـة الختـام والشـكر لأمهـا وطبيبهـا وكل أفـراد أسرتهـا وجميـع أصدقائهـا وزمـلاء دراسـتها، وقـد اسـتنتجت مـن تجربتهـا أن التسـامح دواء شـافٍ مـن كل العلـل...!!!!!

القصـة الثانيـة ..

فتـاة مع خطيبهـا .....

ليـس غريبـا أبـدا... فجميـع الفتيـات تريـد أن تحِـبّ وتُحـبّ، مـن فـارس أحـلام في مخيلتهـا، رجـل وسـيم، ذو مبـادئ في الحيـاة تتقاسـمها معـه، مبـادئ فيهـا حـب العمـل، يحقـق لهـا نفعـا ماديـا مسـتقرا، في ظـل حـبٍّ حقيقـي يجعلهـا كالريشـة في سـماء الحـب والسـعادة...

هنـا سـأسرد لكـم قصـة فتـاة تعرّفـت عـلى فتـى جميـل المظهـر، قـوي البنيـة، ذكيٌّ فطـن يمتلـك خـبرة في الحيـاة، كان يعمـل كأسـتاذ لهـا في الثانويـة، وكانـت تبلـغ

مـن العمـر 20 سـنة...

كان أسـتاذا للرياضيـات، وفي أول حصّـة رآهـا أعجـب بهـا، وكان لا يمـل مـن النظـر إليهـا، لم تكـن تـدرك ذلـك، وتظنـه يراقـب تصرفاتهـا أسـوة بزملائهـا...

حتـى جـاء اليـوم الـذي صارحهـا فيـه بحقيقـة مشـاعره ونيتـه في التقـدم لخطبتها إن لم يكـن لديهـا أي إعـتراض، وسـألها عـن عنوانهـا لزيـارة عائلتهـا وطلـب يدهـا رسـميا، فوافقـت وأعطتـه عنوانها...

اصطحـب والديـه وأفـراد أسرتـه وبعـض أقاربـه، وحصـل عـلى موافقـة عائلتهـا بعـد استشـارة الفتـاة وسـماع رأيهـا وقبولهـا...

كانـت المـرّة الأولى التـي تتعـرف عـلى رجـل يفوقهـا سـنا ومسـتوىً دراسـيا وخـبرة في الحياة...

وكلـما جلسـت وحدهـا في غرفتهـا كانـت تتخيـل شـكل حياتهـا ومسـتقبلها معـه، وكيـف سـيكون...؟

تـارة تستحسـن ارتباطهـا بـه، وتـارة تتشـاجر معـه لأسـباب تافهـة، لكنـه كان كلـما تشـاجرا معـا يقـدم لهـا هديـة يسـترضيها ويهـدئ مـن روعهـا ويطمـئن قلبهـا اتجاهـه... فتفـرح وتتباهـى بالهديـة أمـام زميلاتهـا، ومـا إن تمـر سـاعات عـلى فرحتهـا حتـى تتشـوه صـورة فتـى الأحـلام في عينيهـا... تـراه بهيئـة الشـيطان الـذي يريـد انتهـاك نقائهـا وصفائهـا...

أصبحـت تتهـرب مـن لقائـه، وكلـما أراد معرفـة السـبب تقـدم لـه أعـذارا واهيـة، فيقـول لهـا إن كانـت لا تريـده ولا ترغـب فيـه فهـو مسـتعد للانسـحاب مـن

حياتها، فتراها تكتب له أشعارا وكأنها شاعرة... تصفه بالنور الذي ترى به، ورحيق الزهر الذي تتعطر به والروح التي تسكن القلب النابض بملقاه... وما إن يقرأ تلك الكلمات التي تنمّ عن حب كبير حتى يتراجع عن سوء فهمه لها...

اقترب موعد العرس... كانت الفتاة تعيش في حيرة وحالة من الإكتئاب، وكأن شبح الارتباط قد أطفأ نور شبابها وأغلق أبواب المحبة في حياتها... وأصبحت أكثر عدوانية...

الآن تتراجع عن قرار زواجها، وتبكي لأنها لن تستطيع رؤية الزوج المثالي ثانيةً... وبعد غلق باب الزواج في وجهه صارت تجهش بالبكاء وتنوح كمن أصابتها مصيبة في صميم فؤادها... لم يفهم والداها ما الذي يحدث معها، وما كان منهم إلاّ أن اصطحبوها إلى الطبيب النفسي الذي اقترح على والديها إدخالها المستشفى لبضعة أيام لمتابعة وتشخيص حالتها ومعالجتها...

استخلص الطبيب إصابتها بمرض فصام الشخصية المسماة (شيزوفرينيا الحب)... بعد شهرين من العلاج عادت الفتاة إلى منزلها برفقة والديها، وبعد أن استقرت حالتها حسب تشخيص الطبيب، وقد طلب الطبيب من ذويها إحضارها للجلسات لإكمال علاجها، وقد أحاطهم علما أن العلاج سيستغرق وقتا طويلا وعليهما مساعدته في ذلك، لأن حضور العائلة رفقة المريض دون تركه لوحده منطويا يساعد في علاجه مع أن المرض يعدُّ مزمنا متقادمًا وأخذ الدواء منتظما لترتاح نفسيا وعضليا ذلك أن شيزوفرينيا الحب قد

تسبب لها خمول عضلي وانتكاسة نفسية...

أصبحت الفتاة بين يدي الطبيب، تتلقى العلاج اللازم والمتابعة المستمرة بعد أن فقدت ثقتها في حب كل من حولها، وأصبحت تتعامل بعدائية وتخشى الجميع...

حاولت أمها غرس الثقة في قلبها لكن الفتاة لم تتقدم خطوة إيجابية، تملأها الأفكار السلبية، ولم تستطع إعادة الثقة بحب أمها وحنانها...

فقالت لأمها: حضن الأم هو الملجأ الوحيد الذي نجد في دفئه الأمن والسلام..!!

فقالت لها والدتها: والسماح أيضا، فأنت البنت الحبيبة التي رزقني اللّه بها وأنت كل حياتي، وأنت مهما فعلت فإني أسامحك وأغفر لك... فلا تحزني يا بنيتي...

في اليوم التالي استرجعت الفتاة في شريط ذاكرتها كل ما مضى عليها من مشاعر الألم، بدأت تنفر من العيش في أحضان أسرتها، أصبحت تلجأ إلى الطبيب أكثر، لتشكو له ألمها...

لم يفهم الطبيب سبب هروبها من أسرتها المحبة لها ولجوئها إليه، وهي تشتكي عدم حبهم لها، وحبها المفرط لهم...!!!!

ذكر ضمن ملاحظاته في ملف المريض أنه سيحدثها بصراحة ووضوح عن مرضها، أن يجعلها تواجه صراعها الداخلي، وأن لا نجاة لها إن لم تقرّ بينها وبين نفسها بموقفها ومشاعرها... تحبهم أو لا تحبهم...

ازدادت حيرتها، وبدت أكثر تعقيدا... ما الذي سيحصل يا ترى...!!؟؟؟

قال الطبيب لوالدتها: يجب إعطاءها الفرصة لتتخذ موقفا واضحا وتحدد مشاعرها بمحض إرادتها، وتركها دون إزعاجها والتحدث إليها حتى تكلمهم هي من تلقاء نفسها، والحرص على مراقبة تصرفاتها دون أن تلاحظ ذلك وإخباره بكل صغيرة وكبيرة...

اشتد شعور الفتاة في التيه لاتخاذ قرارها النهائي الذي سيحدد مصيرها مع المرض، فتوكلت على اللّه سبحانه وتعالى وأصبحت أكثر حرصا فيما تقوله وتفعله إلاّ فيما تشعر به من حيرة وشرود، تشعر بالتيه وهي تبحث عن مخرج من حالة اللاشعور...

تتراءى لها ذكرياتها، وكيف كانت تضجّ بالطاقة والحيوية والأمل، وكيف أصبحت خاملة فقدت ثقتها بكل ما حولها، وانعدم شعورها بحب الحياة... وجدت نفسها حريصة على استعادة ما كانت عليه، واستعادة صحتها ورغبتها بالحياة لكنها تجهل كيفية ذلك وعجزها عن اتخاذ خطوة إيجابية، فلم يكن منها إلاّ اللجوء لوالدتها المسامحة المحبّة الحنون...

سألتها إن كانت تعاني من الجنون أو من مرض لا شفاء له...

أجابتها والدتها، أنها ليست مجنونة أبدا، وأن ما تمرّ به مرض عارض وأن شفاءها بيدها...

بكت الفتاة مرددة، لكنني لا أعرف من أين أبدأ في حلّ مشكلتي الصحية ألم أذهب إلى الطبيب وخضعت لعلاج طويل؟؟

قالت لها أمها: بلى ذهبت...

قالت: فكيف يعجز الطبيب عن إيجاد السبيل لشفائي..؟

فردّت عليها والدتها وهي تحاول بث الأمل في قلب ابنتها: يا ابنتي عليك بحبنا دون شك ولا تردد، لأن الفراشة فوق هذه الأرض الخصبة المخضرة مهما تنقلت لابد أن تعود لأصلها ومجموعتها التي تعيش معها في بيئة يعمها الحب والسلام...

تناولت الفتاة مفكرتها وكتبت بضع كلمات ((السلم لا يأتي فجأة... ولا يتساقط من السماء كالأمطار... بل يكون لمن حضر له مسبقا...!!))

في جلستها الطبية، قدّمت ما دوّنته في مفكرتها لطبيبها، بعد أن شعرت باستقرار في نفسها، فشجعها الطبيب قائلا لها: التحضير للسلام مع النفس هو أول طريق للنجاح، وستنجحين بإذن اللّه...

عادت مسرورة إلى البيت وفي جعبتها أمل وتفاؤل في مستقبل أجمل وهذا شيء مهم في الحياة السليمة بعيدا عن فصام الشخصية...

حثّتها أمها على لقاء زميلاتها وصديقاتها للخروج من سجن وحدتها وتتواصل معهن وتشعرها بحبهنّ لها بعد أن أيقنت بأنهنّ يكنّ لها المحبة والتقدير، وأنهنّ حزينات لأجلها، وطلبت منها أمها أن تحكي لزميلاتها ما حدث معها، ربما وجدت منهنّ ما يريحها من الكلام خاصة وأنهن في سن واحدة... ففعلت واستخلصت ما دوّنته في مفكرتها هذه المرّة.. (قدّم الخبز والحليب لعصفورٍ شارد يحوم حول نافذتك ووقِّره واستقبله، فأنت لا تدري بالروح التي تسكنه..!!)

قرأ الطبيب ما كتبته فحاول الاستفسار عما تقصده مما كتبت...

فردّت عليه: يجب ألاّ أحتقر الصغير حتى لو كان عصفورا... يجب أن أوقِّر حضوره كحضور زميلاتي للاطمئنان عليّ، فمن يدري ما الذي يحمله لي من راحة بال، واستقرار الحال...؟

ففرح الطبيب قائلا للفتاة: جميل ما قلته، لكنه لا يكفي لعلاجك، يجب الاعتماد على نفسك دون انتظار المساعدة من أحد، لأن الأمر أمرك، والحل بيدك...

بعد عودة الفتاة إلى منزلها، تحدثت مع أمها وقالت لها: ما رأيك أن نخرج سوية غدا إلى الحديقة المجاورة، أرغب بالتحدث إليك...

وافقت الأم على طلب ابنتها...

وفي الصباح تناولتا الفطور وخرجتا إلى الحديقة... حملت الفتاة معها مفكرتها الصغيرة التي تدون فيها خلجاتها حسب توجيه الطبيب... لكنها أخذت أقلامها الملونة هذه المرة، تحاول رسم مستقبلها بألوان زاهية... اتخذتا مقعدا في الحديقة، وبدأت برسم أزهار ملوّنة، وبعد أن انتهت كتبت تحتها (السعادة الحقيقية هي أن تكون أنت بذاتك، ليس مشتقا من شيء قد يحدث ومن وسيلة، ولكن من مستخلص ذاتك بالذات)

ثم قالت لوالدتها: هذا ما قاله لي الطبيب، والآن أريد أن أقول لك شيئا، وأفصح عما في داخلي، وأريدك أن تجيبني.. لماذا كنتم تضربونني وأنا صغيرة؟ ولماذا كنتم تحتقرون رأيي؟ ألأنني غبية؟ أم لأنكم لا تحبونني؟؟؟؟؟

لم تجد الأم ما تقوله لابنتها، فأخذتها إلى الطبيب مباشرة وهي تحدثها

وتخبرها أنهم يحبونها ولا يوجد ما يجعلهم يكرهونها...

(يا ترى هل سيحتار الطبيب من ردّة فعل الفتاة اتجاه ما قاله لها؟ أم أنه سيسرّ بسماع ما حصل مع والدتها ؟؟)

وحين وصولهن إلى عيادة الطبيب، قصّت عليه أمها مادار بينهما في الحديقة، فسأل الفتاة عن صحة ما قالته الأم، فردّت الفتاة: نعم، لكني لم أجد إجابات تقنعني لما حدث لي وأنا صغيرة... بكت والدتها وطلبت السماح من ابنتها، لأنهم أخطؤوا في طريقة تعاملهم معها وتسببهم لها بما حدث لها..!!

(قارئي... قصتي هذه هي نصيحة للمحافظة على سلامة الأبناء وعدم تلقينهم الدروس والتربية بعنف، فالعنف يولّد العنف وردود الأفعال المتشنجة أو يخلّف زعزعة الثقة بالنفس وبالتالي إلى انفصام الشخصية وعدم التوازن النفسي، لأن التعنيف بالكلام أو الضرب له نتائج سلبية وخيمة)

قالت الفتاة لأمها: ما قد درسته لها مؤخرا، حضن الأم هو الملجأ الوحيد الذي نجد به السلام والسماح، فابتسمت الأم وهي تمسح دموعها، فقال الطبيب مردفا للفتاة: هل هذه الكلمات تعني أنك قد قررت الإفراج عن السلام بداخلك ؟؟

فقالت الفتاة: بالطبع دكتور، وهل السلام يشمل المحبة؟

فردّت الأم: إن ضربتك فهذا لأنني لم أكن أعلم أن التربية لا تكون بالضرب، ولكنها بالكلام المقنع والحب كما تكلم معك الطبيب...

انا آسفة حبيبتي، لأني لا أملك من العلم إلاّ القليل وأجهل أساليب التربية

الصحيحة، لكنك وصلت في علمك لتبني لك مستقبلا زاهرا يختلف عما تعلمناه في الماضي...

ردّت الفتاة قائلة لأمها: لا تبرري موقفك أمي، فبفضل الدكتور ووقوفك إلى جانبي استطعت الخروج من أزمتي، وبالرغم من أنني ضيّعت دراستي هذه السنة، لكنني سأفعل المستحيل حتى أنجح في العام المقبل...

قال لها الطبيب، قد حلّ مشكل حبك مع العائلة، فهلّا حللنا مشكلة حبك لمن سيكون زوجك مستقبلا ؟

ردّت عليه قائلة: لا أدري بعد،

فقال الطبيب: بما أنك تعلمت التسامح وحب العائلة فأنت ستحبين من سيكوّن معك عائلة يكون فيها رب العائلة وتكوني أنت ربّة البيت وأم لأبناء دون أن تشعري أنه يسلبك صفاتك ونقاؤك... هل تعلمين لماذا؟

ردّت، إذا انكسرت البيضة من الخارج فإن الحياة فيها ستتوقف، أما إذا انكسرت من داخلها فهذا يعني بداية حياة جديدة كما حدث معي، لأن أحسن الأشياء تأتي دائما من الداخل...

فرح الدكتور لما يسمعه من الفتاة وما يحدث من تغيير جذري في حياتها لم يكن يتوقع حدوثه بهذه السرعة، وأخبر الفتاة أنها قد تعدّت مرحلة الخوف والخطر تماما، وكي لا يعاودها المرض ما عليها إلاّ متابعة الجلسات والانتظام في تلقي العلاج...!!!

القصة الثالثة معنى الحيـــاة

يسألني الكثير من الأصدقاء، ما هي الحياة حسب نظرتك لها؟؟؟

أقـول: لـكل واحـدٍ منـا رؤيتـه الخاصـة بـه، لكـن هنـاك مـن تكـون نظرتـه ملائكيـة وأخـرى تكـون مضطربـة مرضيّـة...

فيقولون لي، كيف لنا أن نكون مرضى حسب رؤيتنا للحياة...!!؟؟

أحبّتـي... أود في هـذه القصـة أن أروي لكـم قصـة فتـاة تعيـش شـيزوفرينيا تخلـق لهـا نـوع مـن المهـاب ورؤيتهـا لأشـباح وسـماعهم يكلمونها...

في الحيـاة نتعلـم مـن تجاربنـا، الحيـاة نحسّـها بمعايشـة متغيراتهـا... وتجـارب الحيـاة فيهـا النجـاح كـما فيهـا الخيبـة والفشـل، ومـا دامـت الحيـاة مسـتمرة يجـب ألا نـترك الخيبـات تؤثـر عـلى فعالياتنـا وأن نبـدأ مـن جديـد ونقـاوم ونتعلـم مـن أخطائنـا ونجـدد حبنـا بقـوة ونمـد يـد المسـاعدة والعطـاء لغيرنـا، وغايـة الحيـاة العطـاء والصـدق والمحبـة...

إلاّ أنّ هنـاك فتـاة شـابة تبلـغ مـن العمـر 27 سـنة، تعيـش حيـاة سـعيدة، أو لنقـل حيـاة مقنّعـة بالسـعادة... كانـت منغلقـة عـلى خصوصياتهـا تمامـا، مـع علـم عائلتهـا أنهـا ليـس لهـا خصوصيـات وهـي تعيـش تحـت سـقف واحـد تشـاركهم المحبـة والعطـاء العائـلي بـكل روحهـا وعميـق وجدانهـا...

وفي إحـدى الليـالي الماطرة،انتفضـت ليـلا فزعـة مذعـورة هاربـة إلى حضـن أمهـا وهـي تـصرخ قائلـة: لقـد جـاؤوا لقتـلي يـا أمـي... سـيقتلوني يـا أمـي ... !!!

حاولت الأم أن تهدئ من روعها وهي تقرأ عليها المعوذات والأدعية وتخبرها أنه ليس سوى كابوس...

تكرر الأمر العديد من المرات، وأصبحت الفتاة الفائقة الجمال تسمع أصواتا وهي تصلّي، فتتوقف عن الصلاة وهي تتعوذ من الشيطان الرجيم، لكن الأصوات تتابع دون انقطاع، فينتابها الخوف والرعب من المجهول الذي لا يسمعه ولا يراه إلا هي...

أخبرت والدتها بأنهم يقولون لها إن صلّيت سنقتلك... فانقطعت الفتاة عن الصلاة ولكن والدتها تصرّ عليها وإقناعها ألا تترك الصلاة، فهي سلاحها ضد هذه الشياطين...!!

لكن حالتها كانت تتفاقم أكثر وأصبحت نظرتها للحياة سلبية، تطيل الانغلاق والانطواء على نفسها ولا ترى في الحياة إلا الموت، ورغم مقاومتها للموت المنتظر وقتلها حسب ما تعتقده في مخيلتها وما يوحيه لها عقلها..!!

ما مصير هذه الفتاة يا ترى...؟؟؟؟

تطورت حالتها إلى الأسوء، أصبحت تنتابها حالات من الرهاب المخيف، تكره البقاء في المنزل...

اصطحبها والداها إلى المركز التجاري محاولين تغيير حالها وشراء أشياء جميلة لها، إلا أنها كانت ترى في كل شيء جميل تقترحه عليها والدتها أشباحا مخيفة، وتصرخ برعب وخوف فتمسك بها والدتها من يدها كي لا تهرب لكن أصواتها كانت تتعالى فأخذها والداها الى الطبيب على جناح السرعة...

لم تقتنع الفتاة بمرضها، وأصبحت تلوم والديها لأنهما أخذوها إلى طبيب نفسي... وأخذت تردد دون انقطاع: أكرهكما... تريدان التخلص مني، أنتما من كنتما تريدان قتلي... أنتما من جعلتماني مريضة، إن اللّه لن يسامحكما... سأنتقم لنفسي منكما.....!!

هل ستشفى أم لا...؟؟ وما هو مرضها ....؟؟

قام الطبيب بتهدئتها وإعطائها حقنة مهدئة ووضعها في غرفة، لم ترد البقاء فيها لوحدها... فقال لها: النوم خير لك من الخروج للتسوق في هذا اليوم، فسكتت الفتاة عن البكاء وعن اتهام والديها بالتسبب بمرضها وقالت للطبيب وهي تمزق الثوب الجميل الذي أهدته لها والدتها في عيد ميلادها الذي لم يمض عليه إلا شهر من الزمن... إنهما يكرهاني بالرغم من حبي لهما ..!!

بعد أن هدأت، بدأ الطبيب معها جلسة وسألها: ما الذي يحدث مع فتاة جميلة مثلك!!؟؟

فقالت له: إنهم يريدون قتلها وهي تصلي، ويمنعانها عن الصلاة بالرغم من تعوّذها باللّه من شرّهم وأنها تراهم في صور مخيفة، لا ترى فيهم ملامحهم ولكنهم كالأشباح...

فقال لها الطبيب: نحن نعلم أنه لا وجود للأشباح بيننا...

فتساءلت: وما الذي نراه إذن..؟؟

فأجابها: سنرى ذلك بعد أن تنتظمي على تناول العلاج، واقترح عليك

جلسات طبية لنعرف سبب إصابتك بالمرض وكيفية تجاوز مخاوفك والشفاء بإذن اللّه...

فارتاحت نفسية الفتاة للطبيب وقالت له: إن استطعت سجن الشياطين وحكمت عليهم بالموت سأواصل العلاج على يديك، وأعدك أنني لن أخلف حضور الجلسات.. أنا أثق بك، فلا تخذلني...

ابتسم الطبيب وقال لها: لن أخذلك، (وهو يكتب لها وصفة العلاج المناسب لها)... لكن يجب أن تظلي معنا هنا حتى نشخص حالتك ومتابعة علاجك..

فقالت الفتاة: لكنني جميلة جدا وقد أتعرض لمشاكسات تؤذيني... أدرك الطبيب علّة مخاوفها وهواجسها وأن الشيزوفرينيا التي تعيشها بسبب جمالها، ويجب أن تعي ذلك بهدوء وتريّث...

في إحدى الجلسات سأل الطبيب: ما هو الشيء الثقيل الذي يصعب عليك الحياة..!!؟؟

فأجابته: هو الشعور بالغيظ.

فقال حسنا، وما هو الشيء الذي يجعلك سعيدة في حياتك...؟؟

فردّت السلم والأمان... فقال، جيد... الآن نبحث عن الحل وكيفية التخلص من الغضب وإيجاد السلم والأمان...

ابتسمت الفتاة وهي تقول له: كيف نجد الحل؟؟ فردّ عليها مبتسما: يا بنيتي، الحل بين يديك، وما عليّ إلا إرشادك ولكن أنت من عليها البحث

عـن الحـل بداخلهـا... فقالـت: حسـنا، سـأحاول...

انتهـت الجلسـة الأولى، وعـادت الفتـاة إلى سريرهـا في المستشـفى وهـي تفكـر بالرغـم مـن أنهـا لم تستشـعر ولم تفهـم مغـزى كلام الطبيـب، لأن خوفهـا مـن الأشـباح لا يـزال يعتريهـا...

في تلـك الليلـة وأثنـاء نومهـا رأت الأشـباح فصرخـت مذعـورة : لقـد أتـوا... لقـد أتـوا للتخلـص منـي، كانـت تـصرخ بذعـر شـديد...

أعطوها حقنة مهدئة، واستسلمت لنوم عميق...

وفي صبـاح اليـوم التـالي حضر والديهـا لزيارتهـا، والتقيا بالطبيب الـذي طلب منهما أخذهـا إلى البيـت وعدم تركها وحدهـا منعزلة عن العالم وأن يجالسـاها ويحدثانها بشـكل بعيـد عـن الترهيـب أو التخويـف... وحدّث الفتـاة عن إمكانيـة عودتها إلى المنـزل، فلـم تـرد عليـه وأشـاحت بوجههـا عنـه، فقـال لهـا لمَ أنـت غاضبـة منـي؟؟ فقالـت: كيـف تريـدني أن أرجـع معهـما وهـما مـن يريـد التخلـص منـي ورميـي في المستشـفى؟؟

فقـال لهـا: ألم تقـولي أن الـشيء الـذي يثقـل عليـك كاهلـك هـو الغيـظ؟ وأنـت تريديـن العيـش بسـلام وأمـان، ومـا عليـك إلا التخلـص مـن مخاوفـك لـتري الوجـه الحقيقـي للحيـاة...

فقبلت الفتاة العودة إلى أسرتها دون غيظ أو غل...

طلـب منهـا الطبيـب تدويـن أي فكـرة أو أي شيء تسـمعه أو تـراه في دفـتر صغـير، كي لا تنـسى وتريـه لـه في الجلسـات المقبلة...

في ليلتها الأولى في منزلها بعد عودتها من فترة العلاج نامت في سلام وكأنها تخلّصت من كل مخاوفها... ففي اليوم التالي سلمت عليها والدتها وهي تعانقها وتباركها لأنها نامت بسلام وهدوء فقالت لها الفتاة: أتعلمين يا أمي لماذا نمت بسلام؟ لأنني بينكما ولا يوجد من يشاكسني أو يعذبني فأنا في حمايتكما وحماية الطبيب...

فقالت لها والدتها: الحرية الكاملة تفتح لنا عندما لا نعيشها بطريقة شخصية تهما لوحدنا فقط...

لم تفهم الفتاة ما تقصده أمها، فدونته في دفترها، ولما أخذت الدفتر للطبيب قرأه فحاول شرحه لها بطريقة شخصية تساعد في شفاء الفتاة... قال لها: خذي من الحياة عادات، واختاري أفكار مشجعة على إظهار مشاعر السعادة والرضا، أنهم يسيّرانك نحو مستوى من الوعي الكبير... وها هي تحاول الرد عليه قائلة: أحد الأشباح قال لي: ما ديانتك أنت؟ فقلت له أنا من ديانة تنقلني إلى عالم الأنوار...

سألها الطبيب: لماذا لم تسمي له ديانتك

فقالت ل : بما أنني كنت أراهم في سواد ولا تظهر لي ملامحهم فقد كنت أبحث عن نور يضيء لي الطريق ويبين لي ملامح الوجوه التي أخشاها...

ابتسم الطبيب وقال: جيد، يعني أنك تعلمين أن الأشباح لا وجود لها إلا في مخيلتنا... وأنت تخشين رؤيتها بوضوح لأنك تشعرين أن حياتك مظلمة...

فردّت عليه: أنا لست بحاجة لتخطيط في الحياة... لكنني أحيانا أشعر

بحاجـة لإيمـانٍ عميـق أتنفسـه وأتـرك كل شيء للمسـتقبل الـذي سـيريني كل مخفـيّ...

قـال لهـا الطبيـب: وهـل لازلـت تؤمنـي بوجـود الأشـباح الذيـن تسـميّنهم بالعـالم المخفي...

أحسّت بالارتباك والإجابة بالنفي أو الإثبات...

قـرر الطبيـب شرح المـرض للفتـاة بعـد خروجهـا مـن عقدتهـا، وبعـد إدراكهـا لحقيقـة وإبعـاد مرضهـا، أجهشـت بالبـكاء... فقـال لهـا الطبيـب: المـرض لـن يختفـي حتـى نفهـم الـدرس الـذي يسـتوجب علينـا فهمـه جيـدا، وهـذا الوعـي واللاوعـي في الحقيقـة، والخـوف مـن معرفـة مـا تخفيـه عـن أعيننـا... عنـد عودتهـا إلى المنـزل بـدت الفتـاة لأمهـا وكأنهـا تائهـة، تتنقـل بنظراتهـا وكأنهـا وسـط دهاليـز متاهـة شـائكة... ومـا إن اسـتفاقت حتـى ألقـت التحيـة عـلى والدتهـا وقالـت لأمهـا: تعلمـين يـا أمـي إننـي أخـاف مـن أن يترصـد لي أحدهـم وأنـا أعـبر الطريـق للذهـاب للتسـوق أو الخـروج في نزهـة... فقالـت لهـا والدتهـا دوّني مـا تشـعرين بـه ومـا يخطـر ببالـك في دفـترك الصغـير...

ثـارت ثائرتهـا فجـأة في وجه والدتها وهي تقول لهـا: لماذا كنت تخيفيني من الذكور وتقولـين لي أنهـم سـيؤذونك وتصرّيـن عـلى ما تقولينـه وأنا صغـيرة ... لمـاذاا..؟؟؟؟

فردّت عليها والدتها: لأنك جميلة جدا وأنا أخاف عليك منهم...

فلـما اسـتمعت الفتـاة لحديـث أمهـا دوّنـت في دفترهـا...(كلّ مـا تريـده يأتيـك في الوقـت المناسـب) وهـي غاضبـة جـدا...

عندما نامت الفتاة وقبل استيقاظها، ذهبت الأم بدفتر الفتاة إلى الطبيب تحاول الاستفسار منه لما يحدث مع ابنتها، فلما قرأ الطبيب ما كتبته، شعر بفرح وقال: أنها تطرق باب الوعي ويجب أن نساعدها حتى لا يعتريها اليأس فتترك الباب وتبقى في عالم اللاوعي، وطلب من الأم أن تأتيه بها في الغد... عادت الأم، والفتاة لم تزل نائمة هادئة في سريرها الوثير... فشعرت الأم بالراحة وقالت لزوجها: لقد أخطأنا في طريقة تربيتنا لابنتنا، وخلقنا في أعماقها مخاوف تسببت لها بفصام الشخصية التي نشأ عنها الرهاب وتخيلات لا وجود لها... ابنتنا لم تعد تهتم بشكلها، وتهمل نفسها وهندامها ونضاراتها... ابنتنا تضيع من بين أيدينا بسببنا، فقدت إحساسها بالحياة وعقلها مقيد بتفسير بما هو في لا وعيها بشكل كوابيس تعيشها كأنها حقيقة، والطبيب بدأ يشعر أنها بدأت تدرك أنها تعيش ما يوحيه خيالها، وها هي تبحث عن الحقيقة بدون هدي... لكنني سأساعدها في طور انتقالها من اللاوعي إلى الوعي والإدراك حتى تتجاوز محنتها...

بعد استيقاظ الفتاة اصطحبتها أمها لحضور جلسة مع الطبيب...

استقبلها الطبيب بصدر رحب وهو يقول: هل من جديد؟ فردّت الفتاة بخشونة، اسأل والدتي، لماذا كانت تخيفني من الذكور وأنا صغيرة وتصرّ على ذلك... أنها تقول أنني جميلة جدا وأنها تخاف عليّ...!!

فقال لها الطبيب: نحن نبحث عن سبب مرضك، وأنت تبتعدين إلى سنّ الطفولة، هلاّ شرحت لي، لماذا ؟

لم تجد ما تقوله للدكتور... ردّت والدتها: إنها كانت تقول لها أن الذكور كالأشباح يريدون الشر للبنات الجميلات، فاستوعبت الفتاة القصة وباب الوعي فُتِح لها على مصراعيه...

فقالت للطبيب: الهناء نفقده عندما نفقد حقيقة ما عشناه...

فردّ عليها: في الحياة تعلّمت أن أحبّ وأنا أتمنى لك أن تعرفي السعادة، وكيف تكون المحبة... الآن وقد علمت أن الأشباح كانت فكرة تخشين معرفتها منذ صغرك وقد رسمت في اللاشعور وهذا لجهل والديك كيفية تعليمك أسرار الحياة... وما عليكم الآن سوى خلق جو من السعادة والترفيه عن النفس بالسلم والمحبة حتى تكونوا في أمان... تسامحوا ولا تتركي يا بنيتي الفشل يؤثر على حبك للحياة الآمنة... وإذا ما فشلت في تجربتك، فاعلمي أن الحياة تجارب يصيب منها الكثير ويخيب الكثير وهذه الحالة تجربة لك رغم قسوتها، لكنك ستخرجين منها أقوى مما كنت حتى لا تعود لك أزمتك الصحية...

بنيّتي: كما قلت لك مسبقا، أن حالتك يمكنها أن تتكرر إن لم تنتظمي على أخذ العلاج، أو توقفت عن استشارتي في أيّ أمر يهمك...

قالت بثقة: جيد، لن أترك من مدّ لي يد المساعدة وجعلني أعيش في طمأنينة...

القصة الرابعة القوة الخارقة لفتاة

عـادة مـا نـرى في الرسـوم المتحركـة أو الأفـلام الأميركيـة أشـخاصا يلعبـون دور البطولـة، ويمتلكـون قـوى خارقـة مثـل سـوبرمان وباتمـان وسـبايدرمان وزورو وفي الرسـوم لمتحركـة مثـل قرانديـزر... وغـيره...

كنـا صغـارا حـين تابعنـا تلـك الأفـلام، وكنـا نحـاول القيـام بمـا يفعلونـه لشـدة مـا يتركـون فينـا مـن مؤثـرات... ولكـن حـين كبرنـا وعلمنـا أن الأفـلام مـا هـي إلا لعـب خيـال اسـتنتجنا منهـا لـبّ الموضـوع الـذي رسـمه لنـا صنّـاع الأفـلام بخلـق شـخصيات مختلفـة تشـترك في قواهـا الخارقـة للطبيعـة...

إلاّ أن هنـاك أطفـالا مـن كلا الجنسـين لم تنضـج عقولهـم كفايـة واسـتقر التأثـر بمـا شـاهدوه في عقلهـم الباطـن ربمـا بسـبب مـرض مـا أو حادثـة أصيبـوا بهـا... كـبروا لكنهـم ظلـوا يعتقـدون أن تلـك القـوى حقيقيـة...!!

الجزء الاول حكايـة فتـاة

كانـت فتـاة تلعـب معنـا ونحـن صغـارا... لم نفهـم إصابتهـا بمـرض الشـيزوفرينيا... تـرى نفسـها ذات قـوى خارقـة... كنـا نعتقـد أنهـا تحـاول التمثيـل وتقليـد هـذه الشـخصيات الخياليـة... لم نعـرف أنهـا تعتقـد أنهـا حقيقـة ذات تلـك القـوى الخارقـة... كانـت تحـاول القفـز مـن شرفـة البيـت إلا أن والدتهـا كانـت تمنعهـا مـن القيـام بذلـك، وتضعهـا تحـت رقابـة ومتابعـة مشـددة...

وحـين تـرى طفلـين يتشـاجران تحـاول حـلّ المشـكل بطريقـة خياليـة لا يتصورهـا

العقـل... إلاّ عقلهـا هـي... كانـت شـديدة التركيـز عـلى الفكـرة وهـي تقـول لهـما: لا تتشـاجرا، سـأتفقد القـوة الإلهيـة التـي تحرسـكما، وعندمـا يتدخـل أحـد أبـوي الطفلـين للإصـلاح بينهـما كانـت تقـول، ألم أقـل لكـما أني سـأحل المشـكل بطريقتـي... ؟؟

كنـا نضحـك غـير عارفـين بحقيقـة مرضهـا... وكان هنـاك مـن يناديهـا بالمجنونـة، فكانـت تغضـب وتحـاول بنفـس الطريقـة تقـول، لتصيبـك مصيبـة لـن تخـرج منهـا وإن حـضر والـداك...

كـبرت الفتـاة، وبلغـت العشريـن مـن عمرهـا، فشـلت في دراسـتها، وكانـت تعـزو سـبب فشـلها وعـدم إتمـام دراسـتها بالمعلمـين والأسـاتذة... تقـول أنهـم كانـوا لا يؤمنـون بقواهـا وقدراتهـا الخارقـة عـلى حـل المشـاكل دون أن تعلـم أنهـا قـد وضعـت نفسـها في مشـكل، لا حـلّ لـه..!!

الجزء الثاني المشكل العاطفي

أغرمـت الفتـاة بشـاب وسـيم مـن أهـل الحـي الـذي تقطـن فيـه... أصبحـت تسـتجمع كل قواهـا لجعلـه يغـرم بهـا ويقـع في حبهـا... تنظـر إليـه مـن شرفـة البيـت وتركـز نظرهـا عليـه وهـي تقـول: انظـر إليّ وأحبّنـي... وكانـت تطيـل النظـر إليـه حتـى انتبـه لذلـك ولم يعرهـا أي اهتـمام بهـا... فتقـول في نفسـها هـا هـو ينظـر إليّ... لقـد فهـم الإشـارة التـي أرسـلتها لـه وفـك شـيفرتها...!! لكـن في حقيقـة الأمـر لم يفهـم الفتـى المسـكين أيـة إشـارة ولم تصلـه أيـة إشـارة ولا حتـى رسـالة مكتوبـة بخـط يدهـا...

صار الفتى بمثابة السمكة في عيني الفتاة التي تريد اقتناصها... وأصبحت تكرر ما قامت به مرات عدة... حتى ملّ الفتى من نظراتها له، وأصبح يبادلها النظرات ويحدثها بالإشارات، التي يبلغها من خلالها ألا تنظري إليّ فقد مللتك ولا أريد رؤيتك ولا أحب أن ترمقيني بتلك النظرات... اذهبي بعيدا عني...

بينما ظنّت الفتاة عندما كان يكلمها بالإشارات أنه يبوح لها بحبه... ويبادلها مشاعرها...

الجزء الثالث غضب الفتاة

خرجت الفتاة نهارا من بيتها إلى شارع الحيّ لتقابل ذلك الفتى البريء سعيدة فرحة، لأنها ستكلم فارس أحلامها المنتظر، وعندما رأته اقتربت منه لتبوح له بخلجاتها ومشاعرها فكان ما لم يكن في الحسبان...

لقد ضحك وقال لها ماذا تنتظرين مني؟

ردّت عليه: لكن أنت من أرسل لي إشارات نورانية تخبرني أنك تحبني وتريد محادثتي...!!

لم يفهم الفتى شيئا مما قالته... فقال متسائلا بدهشة: نورانية؟؟ لكنني لا أحمل جهاز إضاءة ولا حتى مصباح... وكان يضحك ساخرا من جنون الفتاة قالت له: لقد كنت أرسل لك إشارات ربانية حتى ترد عليّ بهذا الازدراء والاستهتار؟؟

أنا الفتاة التي يحبها اللّه وبعثها لهذا الكون لتغييره وقد وهبني هذه

القـوى الخارقـة ونظـراتي الثاقبـة...

لم يـرد عليهـا الفتـى، وذهـب تـاركا إياهـا وراءه تحدّثـه بغبـاء لم يسـمع مثلـه مـن قبـل إلا في أفـلام الكرتـون..!!

غضبـت الفتـاة، وشـعرت بإحبـاط وانكسـار وجـرح عميـق في صميمهـا... فأرسـلت عليـه لعنـة ظنًـا منهـا أنهـا سـتصيبه، التـوت رجلـه حـين اصطـدم بحجـر متعـثر فيـه في طريقـه... فقالـت لـه هـذه البدايـة فقـط، لكنـك لم تتلـق الأصعـب... فبثّـت الرعـب في قلـب الفتـى...

(أصدقـائي... أنكـم تتسـاءلون هـل مـا تعـرّض لـه الفتـى كان بسـبب اللعـن التـي ألقتهـا عليـه الفتـاة الغاضبـة...؟؟ طبعـا لا... إنمـا هـو الحقـد والكـره والمـرض الـذي يعشـعش في نفسـية الفتـاة الـذي ينعكـس عـلى عالمهـا الخارجـي، وهـذا ليعتـبر الفتـى مـن أنـه لا يجـب الضحـك عـلى الفتـاة المريضـة، وليـس لرفضـه لهـا بهـذه الطريقـة وعـدم شـعوره بالحـب تجاههـا)

الجزء الرابع تدهور الحالة الصحية للفتاة ...

أصيبـت الفتـاة بصدمـة عاطفيـة، بعـد شـعورها بجـرح عميـق وانكسـار مـن الصعـب تجـاوزه... أصبحـت تحـدّث نفسـها بغضـب... سـأنتقم منـه... سـأجعله يحبنـي... أنـا أكرهـه، أنـا أحبـه بشـدة ولا أريـده لغـيري... سـأريه قـواي الخارقـة..!!!!

لم يغـب عـن والديهـا أنهـا مصابـة بالشـيزوفرينيا، وأنهـا تخضـع لرقابـة ومتابعـة طبّيـة وعائليـة، لكـن الـذي لم تلاحظـه العائلـة مـا طـرأ عـلى الفتـاة مـن تحـول

عاطفي في الفترة الأخيرة... وسر علاقتها وتعلقها بذلك الفتى والذي تريده لنفسها، وهي تعلم أنه خطأ سترتكبه بحق نفسها... فهي لم تظهر لهم شيئا من كل هذا، حتى تأزمت حالتها النفسية، وعاودها المرض بشدّة مرة ثانية...

أصبحت تراود الفتاة أفكار الإنتحار، وتحاول الإعتداء على من حولها وهي تتظاهر بقواها الخفية التي ترسخت في مخها الصغير منذ طفولتها نتيجة تأثرها السلبي بما شاهدته من الأفلام الخيالية...

اصطحبها والداها إلى الطبيب المتابع لحالتها النفسية، وذكروا له أعراض انتكاستها وما ينتابها من سلوكيات عدوانية اتّجاه نفسها ومن حولها... اتخذ والدها مقعده متهالكا مشبكا كلتا يديه حول رأسه المثقل بالهموم وخشيته على ابنته لما تتعرض له ومصيرها بعد موته (لاقدّر اللّه)...

قال لها الطبيب وهو يعطيها العلاج المناسب لحالتها: إذا انتابك الشك بقدراتك في نشر الخير وأصبحت عدائية فهذا يعني إلاّ وجود لقدراتك الخارقة... وأنك لهذا السبب أصبح سلوكك وتصرفاتك تتصف بالعدوانية وعدم قدرتك على القيام بنشر الخير وتغيير الأمور التي كلفك اللّه بها... ردّت الفتاة بشيء من التوتر: أنا لا أشك في القدرة الربانية التي منحني اللّه إياها، فأنا المحببة له أكثر من الكثير من خلقه...

قال الطبيب: هذه نظرة فيها استعلاء وتكبّر... وإيماننا يحثنا على التواضع للّه والرفق لرفعتنا... والنجاح يكمن في تغيّرك... وتغيّرك في رشدك، ورشدك

هـو تكوينـك مـن الداخـل بشـكل جـذري وفعّـال...

ابتسمت الفتاة وهي تقول: أيعني هذا أني لست راشدة ..!!؟؟؟

أجابهـا: نعـم... لأنـك لا تدركـين مـا يـدور حولـك... وفي حقيقـة الأمـر أنـت تعيشـين عالمـا خاصـا بعيـدا عـن الواقـع... عـالم تعيشـيه وحـدك...

أجابته: ألستم تعيشون معي في واقعي وعالمي...؟؟

ردّ عليها الطبيـب: نحـن نعيـش حيـاة منسـجمة، ضمـن واقـع يجمعنـا بحقائقـه وتفاصيلـه، أمـا أنـت فتعيشـين حياتـك، يومـا معنـا، وأيامـا في عالمـك الخـاص...

فقالت: أنا أريد نشر الخير، بفعل قدراتي التي حباني بها اللّه...

أجابهـا: لكـن بفعـل هـذا عمّـت الفـوضى حياتـك، وبهـذه الفـوضى لا تسـتطيعين فعـل شيء...

قالت: لكن الخير لا يعني أن يصنع الفوضى...

ابتسـم الطبيـب وهـو يربـت عـلى كتفيهـا وقـال: نعـم معـك حـق... لكـن يجـب أن ترتبـي أفـكارك، وتجـدي السـبيل الـذي يتقبلـه العقـل والمنطـق دون أحـداث فـوضى تربـكك وتربـك مـن حولـك... ونجاحـك سـيكون فيـه شـجاعة وإرادة قويـة لتكـوني الشـخص الـذي تريدينـه وحسـبما يريـده لـك رب الكـون والقـادر عـلى كلّ شيء...

فهمـت الفتـاة مـا يرمـي إليـه الطبيـب وقالـت مبتسـمة... سـأحاول بفضـل تشـجيعك لي ومسـاعدتك والالتـزام بتوجيهاتـك...

وقبـل أن يودعهـا، قـال لوالديهـا: كل واحـد في هـذه الدنيـا يملـك شـخصيته

الخاصة به، وهو من يحدد من يكون وكيف يكون بداخله وما يريد أن يظهره للعالم الخارجي، وليس من حق أي إنسان آخر أو أي مؤثرات أن تغلق عليه جميع الأبواب، وتقييد حريته، وهو قادر أن يجد قنوات تفاهم مع ذاته ومع من حوله بتلقائية دون ضغوط أو تحديد لمساحة حريته وشعوره بكينونته...

أدرك والدا الفتاة مغزى ما قاله الطبيب ووعدوه خيرا، على أمل اللّقاء مجددا...

بعد عودتهم للمنزل برفقة ابنتهما، والالتزام بما قاله الطبيب وتغير طريقة تعاملهما مع ابنتهما، استقرت حالة الفتاة وأصبحت أكثر هدوءا وتجاوبا مع أسرتها، بعد أن تفهّموا إبعاد حالتها النفسية... وأخذا يصطحبانها للتنزه، والذهاب للسوق لأجل التبضّع وشراء ما يحتاجونه من ملابس لها أو مقتنيات منزلية...

منحاها الكثير من الاهتمام وسماع ما تقوله وتتحدث به دون أن يشعرانها بقيود أو نظرات ازدراء وأصغار...

والتزما بمواعيد الجلسات الطبية وإعطائها الدواء بانتظام وفي أوقاته المحددة .... (الله يشفي كل مريض مرّ بحالة كهذه...).

نوبات أخرى للشيزوفرينيا

عودة أخرى لحوريـة / القصة الأولى ....

السلام عليكم...

عدت إليكم مجددا... حلمي بدأ بكم، وأريده أن يتحقق معكم...

بعدما قرأت عليكم ما يجول بخاطري من حلم رافقني منذ الصغر أن أقرأ قصة عليكم قصة من نسج خيالي، وقد فعلت (بتوفيق من اللّه وفضله)... وقد كان ما كتبته في مجموعتي القصصية أقرب إلى الحقيقة من الخيال حسب قراءة نقدية لأستاذٍ وناقدٍ أكاديمي متميز ومتمكن فيما قرأه من مجموعتي القصصية... أنثر عطر الياسمين على خطاه، حتى أتمكن من بلوغ مرتبة ومكانة متقدمة، وقد كان مما قتاه أعجبني كثيرا وشجّعتني قراءاته النقدية وكانت حافزا ودافعا لأكمل مجموعتي القصصية بشكل سلسلة متتالية أسميتها (نوبات أخرى للشيزوفرينيا)...

كما أسلفت... أن مريض الشزوفرينيا (فصام الشخصية) لا يشفى تماما، لكن يمكن السيطره على سلوكه المتوازن واستقرار حالته النفسية، وقد تنتكس حالته ويعاوده المرض في أي وقت إذا تعرض لصدمة عصبية أو هزّة نفسية ذلك لأن هورموناته لا تعمل بشكل سليم... ولا يتمتع بحصانة نفسية تؤهله لتقبّل الأسوء في حياته...

لن أتعمّق كثيرا في اختصاص الطبيب الأكاديمي المختص، لكني سأسرد عليكم هذه المرة، النوبات المتكررة للفتاة حورية، وللفتيات الثلات الأخريات...

الجزء الاول حورية تفقد توازنها النفسي ...

علم النفس... ما هو...؟؟ وما هي أصناف النفسيات...؟؟؟؟

لست بعالمة سيكولوجية ولا أستاذة علم نفس... لكن حسب رؤيتي وتفاعلي مع مفردات الحياة المجتمعية وحياة الناس، أستخلص أن لكل واحد منا نفسيته وميوله ومناعاته المختلفة من شخص لآخر... حيث يوجد من يتصف بالإتزان، ومن له تراكمات بـ (سلة مهملات) وهي ما يسمى عقله الباطن و (اللاوعي)، والعقل الواعي يرفض الانصياع له وتقبّل إرهاصاته اللاواقعية... الشخصية الشيزوفرينية التي تعيش اللاوعي...

هي شخصية منطوية منغلقة على نفسها في عالم من المتاهات الحالكة الظلمة... لكن بوعيها السلبي والذي تعتبره حقيقة تعيشها بكل تفاصيلها وكامل حضورها العقلي السليم حسب مخيلتها، دون أن تدرك هذا... وكان هذا مدعاة لتكثيف الدراسات والنظريات وتطوير الحقل الطبي المتخصص بهذا المجال وانتشار الأطباء المتخصصين لمعالجة هذه الأمراض كي يعتدل المجتمع باعتدال واتزان سلوك الأفراد وخاصة المصابين بمثل هذه الأمراض...

عودة ثانية إلى حورية...

رغم أن حورية استمرت على العلاج والتزمت كل ما طلبه منها الطبيب، وكأنها في معسكر تستعد دائما للقضاء على (فصام الشخصية) ألا إنها في أعماقها لم تجد نفسها بين ما تسميه (السجن) وهو المستشفى، وبين الفوهة المظلمة (المنزل)... كانت تفتقد شعورها بالحرية، خاصة عندما

يصطحبها والداها للعلاج وحضور الجلسات الطبية...

ذات يوم خرجت من المنزل للتسوق دون علم والدتها التي لا تكف عن متابعتها ومراقبتها... أرادت اقتناء هدية شكرٍ لأمها... كانت تشعر بحاجة أن تعبّر عن حبها لأمها بهذه الهدية واعترافا منها بعرفانها وحنانها...

قطعت الشارع المؤدي إلى محل بيع الهدايا والزهور والتحف الجميلة والعطور... ودخلت إلى أحد المحلات وبدأت تتنقل بنظرها بين أنواع الهدايا الجميلة... أحسّ بتوتر شديد وظهرت عليها مظاهر الارتباك... كلما أرادت اختيار هدية واقتناءها ترى أن هناك غرابا يحاول أخذها منها... حتى اجتمعت من حولها الغربان وهي تحاول جاهدة إبعادهم عنها... كانت تحرك يديها باضطراب شديد وكأنها فعلا تحاول طرد شيء يزعجه... انتبهت إليها البائعة فهرعت إليها مسرعة لمساعدتها... كانت البائعة تعرفها، فهي جارتها وصديقة طفولتها اسمها (سهى) وهي ابنة الخالة (سليمة)... وسليمة هي الجارة المقرّبة لوالدة حورية وحافظة أسرارها وهي من تجد عندها الراحة وتستشيرها كلما ضاقت بها السبل في كيفية التعامل مع حورية...

استأذنت سهى من صاحب المتجر لإعادة حورية إلى منزلها...

عند وصولها المنزل احتارت والدتها فيما ستفعله معها... اتصلت بزوجها ليلحق بها إلى الطبيب المعالج لحورية...

حين وصلتا إلى الطبيب كانت حورية في حالة هياج وهلع شديد، وفي ردهة الحالات المستعجلة وبعد تشخيص حالتها الهستيرية تم حقنها بإبرة مهدئة

مـن قبـل الفريـق الطبـي المتواجـد لتهدئتهـا وبتوجيـه مـن الطبيـب المختـص... وتـم توثيـق حالتهـا في سـجل الكشـوفات والمعاينـات الرسـمية للقسـم الطبـي عـلى أنهـا نوبـة انفعاليـة بسـبب مـرض الشـيزوفرينيا المصابـة بـه...

بعـد اسـتقرار حالتهـا وهدوئهـا... وصـف لهـا الطبيـب العـلاج الـلازم وطلـب منهـا كتابـة أو رسـم أي شيء يمـر بذهنهـا... وحـدد لوالديهـا موعـدا بعـد أسـبوع ليأتـوه بهـا...

عـادت حوريـة برفقـة والديهـا إلى المنـزل وهـي شـبه مخـدّرة... هادئـة سـاكنة شـبه فاقـدة لقواهـا، وكأنهـا في عـالم آخـر تجهـل كيفيـة الخـروج منـه... مـرّ أسـبوع ولم تحـرك سـاكنا، غـير أنهـا كانت تحـدّث نفسـها في خيالاتهـا، وتحدّث الغربـان وتحذرهـم مـن الاقـتراب منهـا وأحيانـا كانـت والدتهـا تسـمعها وهـي تتكلـم بصـوتٍ مسـموع تقـول وكأنهـا تحـث أحـدا: سـأقتلكم جميعـا... سـأقتلكم وأقتـل نفـسي بعـد ذلـك... فتصـاب الأم بخـوف وهلـع شـديد عـلى مصـير ابنتهـا وتحـاول جاهـدة تهدئتهـا وتسـكين روعهـا وملاطفتهـا باللـين والحنـان... حـان موعـد زيارتها للطبيـب... وفي عيادة الطبيب أخـبرت الأم طبيبها بكل تفاصيل حالتهـا خـلال الأسـبوع وأخبرتـه بمـا سـمعته مـن حوريـة مـن هلوسـات تخيليـة... طلـب الطبيـب مـن حوريـة أن تريـه إن كانـت قـد رسـمت أو كتبـت شـيئا... وسـألها إن كانـت قـد رأت شـيئا غـير طبيعـي...

لم تـرد عليـه... وكأنهـا تعيـش في عـالم آخـر... عـالم بعيـد يفصلهـا عـن كل مـا حولهـا...

قـام الطبيـب برسـم صـورة غـراب وأراهـا إيـاه... فزعـت بجنـون وخـوف وأصبحـت تنـادي أمهـا وهـي بحالـة رعـب، خائفـة مـما رأت... أبعـد الطبيـب عنهـا الصـورة وهـدّأ مـن روعهـا...

قـال لهـا الطبيـب بعـد مراجعـة ملفهـا الطبـي القديـم وبعـد أن هـدأت تمامـا: هـل عـاد الغـراب مـن جديـد؟ أم أنـه غـراب آخـر...!!؟؟

قالـت وهـي في حالـة مـن الاستسـلام والضعـف: بـل هـو نفسـه الغـراب القديـم، لكنـه أحـضر معـه جيشـه هـذه المـرة، وهـم يريـدون القضـاء عـليّ... لكنـي سـأنتقم منهـم وأقتلهـم ثـم أنتحـر...

(خوفـا عـلى الفتـاة، طلـب الطبيـب مـن والـد حوريـة أن يبقيهـا تحـت المراقبـة الطبيـة كي لا تحـاول الانتحـار أو القيـام بأشـياء خطـيرة مـضّرة لهـا أو لغيرهـا، فقبـل الوالـد دون اعـتراض ..)

تابـع الطبيـب حديثـه مـع حوريـة قائـلا لهـا: مـن يكـون الغـراب؟ ولمـاذا يريـد بـك السـوء محـضرا معـه جيشـه...؟؟

هزت برأسها إيماءة أنها لا تعلم .....!!!!

الجزء الثالث

هل الحوار سيخرج حورية من عالمها الشيزوفريني ...؟؟؟؟

كانت حورية تنكر وجود الغراب تارة، وتارة أخرى تتحدث عن جيش الغربان الذي يحاول سلبها كل ما تحبه، وسلبها كل ما تريد اقتناءه لوالدتها ... (كما قصصت عليكم سابقا، عندما غابت ملاك عن أنظار حورية، تحوّلت في مخيلتها إلى غراب، تاركة إياها في خطر) .

تشكّلت في مخيلتها صورة ملاك التي كانت تحرسها قبل أن تعود لوقت قصير إلى الحياة الجديدة الهادئة...

هذه المرّة هي ترى ملاك والملائكة التي كانت معها قد تحولوا إلى غربان يريدون الانتقام منها لأنها ابتعدت عنهم وارتبطت بوالدتها وتقرّبت إليها أكثر... وهذا مرض خطير خاصة وأنها تحاول وتفكر في الانتحار وقتل الملائكة الغربان التي لا يراها إلا هي...

أخبر الطبيب والداها قائلا، أن ابنتهما تعاني من عدم اتزان سلوكي ونوبات هوس تخيبلية فصامية، لكنه سيجد لها العلاج المناسب والمتابعة المستمرة كي يخرجها من هذه الحالة، وعليهم تركها في المستشفى... اطمأن والدي الفتاة وعادا إلى المنزل تاركين حورية بين يدي الطبيب...

لم ينفك الطبيب من محاورة حورية وطرح الأسئلة عليها وهي تجيبه... وكأنه يحاول فك شيفرة عقدتها النفسية وصراعها الداخلي...

سـألها عـما إذا كان مـن الصـواب أن تقتـل أو تهـدد حيـاة طـير كالغـراب؟ ردّت: نعـم، عندمـا يريـد أن يـضرّني أو يريـد قتـلي وسـلبي مـا أحـب وأريـد... قـال لهـا: هـل يمتلـك الغـراب عقـلا كي يختـارك أنـت بالتحديـد، ولمـاذا ؟ أجابته: إنه يعرفني قبل أن يتحول إلى غراب، عندما كان ملاك...

أجابهـا: بنيّتـي، الملائكـة تبقـى ملائكـة ولا تتغـير، ووجودهـا بالصـورة التـي تتخيلينهـا وحـدك، غـير معقولـة...

دعينـا نعـود إلى الحيـاة الجديـدة التـي جعلتـك بقـدرة اللّـه تعيشـينها في هـدوء وراحـة بـال... أخبرينـي، لمـاذا خرجـت للسـوق دون علـم والدتـك..؟

قالت : لأنني أردت التحرر من قيودي وأن أشعر بالحرية...

ردّ قائلا: ومن حرمك منها؟ قالت: أنت...!!

قـال، لمـاذا؟؟ قالـت: لأننـي في كل مـرة أرقـد فيهـا في المستشـفى أشـعر أننـي في سـجن، وهـذه المـرة أيضـا التـي تركنـي فيهـا والـديّ وحـدي... لم يـرد الطبيـب أن يتعمـق في الموضـوع والبحـث عـن أصـل ولـون الغـراب والمـلاك والوالـدة... ودون في ملـف المعينـة والكشـف (حوريـة مصابـة بـالبسيكوز «أي الذهـان» وهـو ناتج عـن مـرض الشـيزوفرينيا... المريـض يكـون مقـادا إلى اللاوعـي وفي عـالم آخـر، دون أن يـدرك ذلـك...) .

أغلق الملف وطلب من السكرتيرة اصطحابها إلى مصحة النساء الاستعجالية...

الجزء الرابع خروج حورية من السجن

في فـترة مكوثهـا في المستشـفى، كانـت لا تنفـك تكلـم نفسـها، ومـن حولهـا المرضى، قائلـة لهـم متـى سـنخرج مـن السـجن ونتحـد لنقضي عـلى جيـش الغربان؟

وكانـت الممرضـات يسـجلن كل شـاردة وواردة وكل صغـيرة وكبـيرة لتصرفـات المـرضى لإطـلاع الطبيـب عليهـا عندمـا يقـوم صبـاح كل يـوم بالكشـف ومعاينـة مرضـاه في جولتـه الطبيـة...

وصـل الطبيـب إلى سريـر حوريـة، وألقـى عليهـا تحيـة الصبـاح مبتسـما مسـتبشرا وسـألها كيـف حالهـا؟

ردت عليه التحية وأخبرته أنها كوّنت جيشا من نزلاء المستشفى...

قال لها: لماذا: أجابته: لنواجه جيش الغربان ونقضي عليه...

أردف قائلا: إذن أنتم في معسكر وليس سجن...

تنهّدت قليلا وهي تسترجع أفكارها... نعم أنا في معسكر...

سألها: لماذا ..؟ قالت: للقضاء على الشيزوفرينيا

ابتسم وقال لها، هل تشبهين الشيزوفرينيا بالغربان ؟

قالت: لا أدري،

طلـب منها الطبيب رسـم شـكل الغراب وجيشـه وكل ما تريده وقـدّم لها مجموعة مـن الأوراق البيضـاء وقلم، طالبا إعادة الأوراق للممرضة بعد الانتهاء من الرسـم...

فكّـر الطبيـب فيـما قالتـه الفتـاة، ابتسـم لأنـه رأى أنهـا في طـور الخـروج مـن حالـة اللاوعـي...

مـضى الطبيـب للكشـف عـن مريضـة أخـرى وهـو يمسـح عـلى رأس حوريـة بيديـه...

رسـمت حوريـة إنـاءً فخاريـا يسـيل منـه المـاء مـن فتحتـين في أعـلاه بشـكل أذنـين، ومجموعـة مـن الغربـان تحـوم حولـه، تـأكل مـما يوجـد مـن غـلال وحبـوب وفاكهـة طازجـة حولـه ويشربـون مـن مـاءه... في صبـاح اليـوم التـالي، رأى الطبيـب مـا رسـمته حوريـة، طلـب منهـا تفسـير مـا تعنيـه اللوحـة... قالـت لـه: هـذا إنـاء فيـه فاكهـة طازجـة وهـذه غـلال وحبـوب والمـاء جـارٍ مـن فوقهـا يسـيل مـن الأذنـين...

ابتسم الطبيب قائلا للفتاة: لماذا الماء يجري منهما...

قالـت: لأني أحـب سـماع خريـر الميـاه، وقـد حُرِمـت مـن مشـاهدة هـذا لأني سـجينة في المنـزل وفي المستشـفى...

قـال الطبيـب لحوريـة: لا تـتركي مـا حولـك يحطّـم السـلام الـذي بداخلـك... اتـركي النـور الـذي يحيـط بـك يغـير اللـون الأسـود كلـما رأيتـه أو ظهـر لـك... كان الطبيـب يـرى أن المـاء الـذي يسـيل يعـبّر عـن الأسى الـذي تعيشـه الفتـاة في اللاوعيها...

قـال لهـا: بنيّتـي، أن الحـيرة لا تفـرغ الأسى الـذي تعيشـينه ويمـلأ حياتـك وتكتمينه في أعماقك...

أجهشـت حوريـة بالبـكاء وانسـابت مـن عينيهـا الدمـوع بنشـيجٍ مـؤلم وعميـق... يرتسـم ألمهـا عـن بعـد يحسـب بالسـاعة الضوئيـة...

قـام الطبيـب بتهدئـة روعهـا وهـي تقـول بـألم وحـزن... لمـاذا... لمـاااذا ؟؟؟ نصحها موجّها ببضع كلمات ولجت عقلها جعلتها تفكر بعمق وواقعية لما كانت ترتاب فيه وتراه وكأنها تحاول الخروج من حالة اللاوعي والتخلص منها...

قال لها: انسي ماضيك بكل ما فيه من ألم... وعيشي حاضرك، واحلمي بمستقبل جميل، لأن أجمل هدية يمكن لملاك أن تقدمها لك بقدرة اللّه الرحمن الرحيم هي حياة سعيدة في كل يوم... فعيشي يومك بسعادة وفرح بكل ما فيك من طاقة وحيوية...

ردّت عليه: لا أدري من أين سأبدأ وهي تأكل من فوهة الإناء غلالي الطازجة..!!

قال الطبيب: أنت فتاة ذكية، وسنحاول معًا أن نجد الحل، لكن عليك تناول العلاج بانتظام ومتابعة الجلسات...

أنا مسرور لأنك رغم الصراع النفسي الذي تعيشينه وشعورك أن المستشفى كالسجن إلاّ أنك قبلت الحضور ومتابعة العلاج...

لنجاح العلاج يجب التكلم مع الغير بما نحسّه، يجب أن نتقاسم ما نشعر به من الألم لأن معظمنا يعتبر في (لا وعي باطن) وهذا ما يؤدي إلى تعسّر تأقلمنا وتفاعلنا مع الواقع...

ردّت قائلة: حاضر دكتور، سأخبرك بكل ما يحدث معي... ما جرى معي اليوم كان خارجا عن إرادتي ونطاق صحتي العقلية... قالت ذلك والدموع تنهال من عينيها...

مسح بيديه دموعها وقال لها: كفّي عن البكاء... سننجح بالتأكيد... قالت متسائلة: طيب... وجيوش الغربان التي تأكل من ثمرات عقلي الطازجة؟؟

استمر حوار الطبيب مع حورية، واقترابها من عالم الوعي والإدراك يكاد ينجح للمرة الثانية في نوبتها هذه التي هي أشد تعقيدا من الأولى...

طمأنها الطبيب قائلا: لا يا بنيّتي... لا توجد غربان تأكل من ثمرات عقلك الطازجة... أنت خائفة فقط من مرض الشيزوفرينيا وتتصورينه مرضا خطيرا لا شفاء منه... لذلك شبّهت المرض بالغربان التي تحاول أكل عقلك الطازج، ولأن المرض قد أصابك وعرفت أنك مريضة به، تحولت صورة ملاك الغير موجودة إلاّ في مخيلتك إلى غراب وأصبحت لا تظهر لك بعدما تصرفت بوعي كبير عندما أدركت أن والدتك هي بمثابة الملاك الحارس وهي من تحرص على سلامتك وهي من قدمت بك مع والدك إلى هنا على جناح السرعة ليتم مساعدتك وعلاجك... وأنا طبيبك الذي لن يبخل عليك بمساعدته بكل ما يستطيع...

بيتك يا حورية هو المكان الذي تسكني إليه وتشعري فيه بالأمان مع أفراد أسرتك... عائلتك التي تنتمين لها... تستنيري من والديك اللذين يحرسانك ويحرصان على سعادتك وراحتك وتوفير كل ما يمكنهما لإسعادك... وأرجوك لا تعودي للخروج وحدك دون علمهما حتى أرى توازنا سليما في سلوكياتك وننجح سوية للخروج من حالة اللاوعي إلى الوعي الإيجابي...

أجابتـه حوريـة وهـي تبـدو بكامـل وعيهـا: نعـم دكتـور، معـك حـق هـذا مـا كنـت أحسّـه، لكـن بالشـيزوفرينيا لم أسـتطع تفسـير مـا ينتابنـي، لكنـي اسـتخلصت مـما كنـت تقولـه لي، أن النجـاح فيـما نريـده، يحصـل مـع مـن نلقـى منهـم ذلـك والوصـول إلى مـا نريـد إليـه يكمـن مـع مـن نريـد أن يكـون معنـا في محنتنـا والصـبر مفتـاح الفـرج...

فـرح الطبيـب مـما سـمعه منهـا وكتـب لهـا وصفـة دواء فيـه زيـادة للجرعـات إضافـة لـدواء آخـر، وقـال لهـا - يمكننـي الآن أن أطلـق سراحـك مـن السـجن بنيّتـي... لكـن سـأنتظر زيارتـك لي وأنـا في (السـجن) هنـا، كصديقـة مقربـة... ضحكت وقالت: في المستشفى كمريضة، وأنت الدكتور...

شـعر الطبيـب بالـسرور كثـيرا، وعنـد اقـتراب موعـد الزيـارة، حـضر والديهـا وأخبرهـما بمـا وصـل إليـه حـال ابنتهـما وشـدد عليهـما المتابعـة والمراقبـة، لأنـه لا يـزال يخـشى مـن مشـكل تفكيرهـا بالانتحـار، وحـدد لهـما موعـدا بعـد أسـبوعين مـن خروجهـا أن يحضراهـا للكشـف عـن تاثـير العـلاج معهـا...

الجزء الأخير الفتاة حورية... وفكرة الانتحار .....!!

بعـد أسـبوعين، أزف موعـد اللقـاء بالطبيـب الـذي ينتظـره الأبويـن بخـوفٍ وترقّـب... مـا الـذي سـيقوم بـه الطبيـب لتخليـص الفتـاة مـن فكـرة الانتحـار...؟ ولمـاذا تفكـر في الانتحـار؟ هـل هـو بسـبب اليـأس الـذي سـببه لهـا مرضهـا الـذي لم تتمكـن مـن التخلـص منـه أو لشـعورها بالخجـل مـن مرضهـا....!!؟؟؟

حـان دور الفتـاة، ودخلـت لمقابلـة الطبيـب... ألقـت عليـه التحيـة، وردّ عليهـا

وسألها: هـا كيـف تشـعرين الآن؟

ردّت عليه: خائفة... ممّ أنت خائفة..؟

قالـت: لا أدري... أردف قائـلا: كيـف لا تدريـن وقـد قلـت أنـك اسـتوعبت مـا قلتـه لـك.... هـل نسـيت ذلـك؟

أجابته : لا... لم أنس ذلك، لكنني أخاف أن أنتكس مرة أخرى...

قـال لهـا: انـسي كلّ أوجـاع ماضيـك، وكـوني واثقـة مـن نفسـك وأنـك سـتتغلبين عـلى مرضـك بالصـبر والحكمـة، وكـما خيّـل لـك أن عقلـك غـلالاً طازجـة، ولنقـل تشـبيهك بـدل تخيّلـك، هـذا دليـل عـلى أن عقلـك يفكّـر جيـدا وأنـك فتـاة ذكيـة وواعيـة...

الطبيعـة ذكيـة جـدا، لأنـك جعلـت من غلالهـا أدويـة مفيدة جـدا، وتناولـك لهذه الأدويـة سـيبقيك ذكيـة سـليمة كـما تتمنـين... أمـا عـن تفكـيرك الـذي لم يكـن مرتّبـا بصـورة جيـدة والـذي جعـل مـن سـلوكك غـير متـزن فيجـب عليـك اختيـار أفـكارك بعنايـة كـما تختاريـن ملابسـك لتكتمـل أناقتـك... لأنـك كلـما أخطـأت في اختيـار أفـكارك وترتيبهـا ضاعـت منـك فرصـة حسـن الاختيـار، كـما حـدث في اختيـارك الوقـت غـير المناسـب لـشراء هديـة تليـق بوالدتـك... وسـتتمكنين مـن اختيـار مـا تريديـن بالتدريـب والاكتسـاب ممـن يحبونـك وتثقـين بهـم... قالـت وهـي تضحـك: سـأحاول اختيـار الهديـة المناسـبة وأصطحـب أمـي معـي، وسـأطلب النقـود مـن أبي، لأننـي ذهبـت وقتهـا ولم أفكـر بدفـع ثمـن الهديـة في المـرة السـابقة...

قال الطبيب: جيد إذن، لنعود إلى مرضك الذي تطور إلى حالة التفكير في الانتحار... بعد القضاء على جيش الغربان... كيف جاءتك الفكرة؟ ولماذا الانتحار بالذات؟؟؟

قالت: لأنني كنت أعيش في صراع مع ما يضجّ في رأسي من أفكار عن جيش سيأكل عقلي... كنت أدرك أنني لن أستطيع التغلب على الغراب وجيشه، وأنا لم أعتد على المعارك والمعسكرات، ففكرت في الانتحار للتخلص من مخاوفي وعذابي...

قال لها الطبيب: أريدك أن تعلمي أنك عندما تخطئي التفكير أن تنظري لنفسك، وإلى أقرب الناس إليك ولقلبك... ماذا سيحدث لهم إن انتحرت... كيف ستصل الهدية لوالدتك تعبيرا عن حبك وامتنانك لها ولصبرها على محنك...؟؟

قالت: لكنني مريضة ولا أريدها أن تعاني وتقاسي بسببي...

أجابها: ومن قال لك أنها تعاني... كل همها أن تراك سليمة معافاة وتبحث عن مصلحتك ومساعدتك وتضحي بحياتها من أجل ذلك...

اليوم هي معك... وغدا، من سيساعدك؟ يجب أن تكبري وأن تكون لك شخصية سويّة وسلوك متزن، واعلمي أن مرضك كلما فكرت به سيزيد ذلك من مخاوفك وتعدد النوبات التي ستصيبك... ما عليك إلا ترك المرض بيدي الطبيب المعالج وهو من سيهتم بالأمر، وأن تهتمي بتكوين مستقبلك تحت رعاية والديك ما داما على قيد الحياة...

بنيّتي، ابعدي فكرة الانتحار عن ذهنك، لأنك بذلك ستخسرين رضا اللّه عنك ونبيّه وجميع خلقه، وستفقدين مباهج الحياة الجميلة، لن تري البحر ولا السماء ولن تسمعي خرير المياه المتدفقة...

بكت الفتاة ندمًا على ما فكرت به، واحتضنت والديها تطلب مساعدتهما على عدم الاستسلام لمثل هذه الأفكار العقيمة...

قال الطبيب: هما معك ليساعدانك دون أن تطلبي منهما ذلك، لكن أنت عليك تركهما يساعدانك ويقوما بما عليهما بالطريقة السليمة، لأنهما ليسا مصابان بهذا المرض... كما تعلمين أن المرض (وقد قلت لك مسبقا) أنه يمكن أن يعاودك وبأضرار وخيمة... احمدي اللّه أنك لم تتوقفي عن أخذ الدواء... استمري على هذا المنوال وإذا أحسست بشيء يجعلك تنطوين على نفسك أو تتكلمين وحدك أو شعرت بأي تهيّج سلوكي أو حركي ما عليك سوى إخبار والديك والمجيء إليّ بأسرع وقت، وإن لم تجداني فهناك أطباء آخرين سيقدمون لك المساعدة الطبية القيّمة...

بنيّتي... تذكري دائما ما أقوله لك... الحياة أقصر من أن نقضيها في صراع مع الذات... علينا أن نحياها بسعادة وتفاؤل فهي قصيرة وعلينا المقاومة والعيش بسلام...

خرجت حورية برفقة والديها في رحلة قصيرة إلى متنزه المدينة حيث توجد الحيوانات البرية والبحرية الأليفة وهناك يوجد نهر صغير لتربية الأسماك الصغيرة الملونة، ويمكنها أن تسمع خرير الماء ومشاهدة كل ما تحب...

بعد الرحلة ذهبوا إلى الأسواق التجارية وجابوا شوارع المدينة، ودخلوا إلى محلات الأزياء والملابس... اختارت لوالدتها ثوبا أخضر اللّون فيه بريق كبريق ملاك... فرحت والدتها ووالدها الذي دفع ثمنه وقالت له: المرة القادمة سأشتري لك قميصا ومن نقودي التي ستعطيني إياها لأجمعها وأدخرها... ضحك والديها وقال الأب: من لحيتك أبرم لك اللجام...

عند عودتها إلى المنزل رسمت دائرتين، واحدة ملونة بقلم الرصاص تخرج منها أشواك والأخرى شفافة تحيط بها أزهار ملونة، كتبت تحتها... الحياة دون خوف... كلما استيقظت وجدت من حولي أزهارا ملونة، ألوانها كلون الحب... ورديّة كخدود أمي... ملساء كحنانها الذي تغمرني به فتضئ لي الدنيا من نور رباني يلهمني صبرا على تحمّل الأشواك التي تخرج من تربة سوداء تشعرني بالخوف من مستقبل بعيد عن النور والسلام...

قدّمت ما كتبته إلى طبيبها، فقال لها: كل ما تحت التربة مجهول وأنت تخافين الانتحار، ما عليك إلا النظر والتفكير بما هو فوق الأرض من طبيعة جميلة وأزهار وأطيار وبساط أخضر وورود تضعيها في أناء جميل، تسقينها بالماء لتنمو وتكبر وتجعل منزلك معبّقا بأريجها، مضيئا بأشعة الشمس مصدر الحياة والطاقة...

ابتسمت يملؤها الأمل والحبور وقالت: حاضر دكتور... سأقوم بهذا من اليوم...!!!!!

قصة الفتاة، وفـــــاء

شيزوفرينيا الحبّ، والسحر....!!

بعد مرور عام كامل على النوبة الأولى التي تعرضت لها الفتاة وفاء، عاشتها بهدوء وسلام... تحلم بالنجاح في دراستها خاصة وأنها انتقلت إلى ثانوية أخرى، واكتسبت زميلات أخريات تجلس معهن وهي تتباهى بنفسها بعد أن رفضت العريس الأول وهي تقول: لن أقبل بأيٍّ كان وهي تخفي في داخلها مرضها النفسي اللّعين...

وذات يوم تقدّم لخطبتها فتىً يسكن في نفس الحي الذي تقطن فيه وعائلتها... لكنها رفضته بشدة... احتارت والدتها في سبب رفضها، وأخبرت عمّاتها، وأشرن عليها بأخذها إلى العرّاف ليعرف من يقف في طريق زواجها... ولا يريد لها أن تتزوج... وأقنعنها بذلك...

ذهبت الأم إلى ابنتها تخبرها بما قالته عمّاتها... فردّت: يا أمي أنا مريضة، هل تفهمين سبب رفضي...؟

قالت الأم: وما أدراك، ويمكن أن يكون مرضك بسبب سحرٍ أو عملٍ معمول قام به من يكيدوا لنا ولك...

في اليوم التالي، وبينما هي في المدرسة وفي فترة الاستراحة أخبرت زميلاتها بأنها رفضت خطبة جارها لها، وما حدث مع والدتها وعمّاتها، وهي ككل مرة ترفض خطّابها، وأنها يمكن أن تكون مسحورة... وهي تضحك... أي جهل هذا... لا أؤمن بهذا الهراء... فردّت إحدى زميلاتها: أن أختها قد حدث لها مثل ذلك الأمر، ولقد تأكدوا أنها مسحورة من طرف إحدى النساء التي

تكرههم، وقاموا بأخذها إلى العرّاف وفك السحر...

فتبلّمت الفتاة وتاهت وكأنها مغمى عليها... لم تكن تعي ما جرى حولها... رأتها أستاذة العربية فطلبت من إدارة الثانوية الإتصال بوالديها فورا لاصطحابها إلى المستشفى...

قدِم والديها بسرعة، وأخذاها بسرعة إلى المستشفى، وهناك قام طبيب مختص بإجراء الفحوصات اللازمة والتحاليل الضرورية وقياس ضغط الدم ونسبة السكر والهيموغلوبين وقد كانت النتائج كلها إيجابية سوى انخفاض ضغط الدم بصورة كبيرة، فتبين له أن الفتاة قد تعرّضت لانهيار عصبي ونفسي... دوّن كل هذا في ملف فحوصاتها الأولية، وقام بحقنها بسيروم مملح، ولمّا أفاقت من غيبوبتها قالت للطبيب: لا أريد أن أكون معهم... لا أرييييد... هما لا يحباني... يريدان التخلص مني...!!

قالت ذلك وهي تشير إلى والديها...

سألها الطبيب: لماذا ...؟ ألم تكوني معهما في سلام وأمان وتسامح ..؟

ردّت : نعم قال لها : لماذا إذن ؟؟؟

أجابت: لأنهما يريدان أخذي إلى العرّاف ليفك سحري، وأمي تقول لي أنّ مرضي سببه السحر...

فهم الطبيب ما حدث... وقال لها: لن تعودي معهم حتى تشفين تماما، ولا أستطيع شفاءك ومساعدتك إلا بمساعدتك لي وتنفيذ ما أطلبه منك وتناول الدواء...

أجهشت الفتاة بالبكاء وهي تردد: لا أعلم كيف أصلح أمري... ياربي... أعِنّي ياإلهي... ماذا سأفعل...؟؟؟

(العائلات التي تملك مستوى محدود من الإيمان باللّه تتسبب في انهيار جدران بيوتها، وهذا بمحاولة وصولها إلى مبتغاها كهذه العائلة التي تريد تزويج ابنتها بأي طريقة حتى ولو بما حرّم اللّه... أعزائي .. لي طلب عندكم، وهو أن تفكروا بالمنطق والعقل وبما يرضي اللّه...

قال الطبيب للفتاة: كما فعلنا سابقا، عليك رسم أو كتابة كلّ ما يقلقك ويزعجك وينتابك على هذا الدفتر... ويلّمها دفتر صغير...

الطبيب يريد إعادة الثقة بنفسها، وتعزيز شعورها بشخصيتها وانتشالها من الصراع مع الذات، والصراع مع من حولها...

انتكست حالة الفتاة وأصبحت تكلم نفسها، وفقدت ثقتها فيمن حولها إلا طبيبها...

(للأسف كلام زميلتها تردد في ذاكرتها وآمنت به، وآمنت بما قالته أمها لها عن السحر ورفضها لخطّابها بسبب هذا السحر... أصبحت تحدّث أشباحا كأنها تكلّم الجنّ... لم تعد تكلّم أحدا... أصبحت تعيش في عالمها الخاص... تعيش عالم اللاوعي...)

لما رآها الطبيب مجددا تأسف لحالتها وما وصلت إليه... وكتب في ملفها الخاص... وفاء انتكست وهي تعيش في ذهان الفصام... هذه الحالة من الصعب إيجاد الحل لها...

ياترى ما الذي سيقوم به الطبيب ليساعد في شفائها ...؟؟

طلب الطبيب من الممرضتين إحضارها إلى مكتبه دون خلق حالة رعب لها أو ضجيج على من حولها...

أحضرت الفتاة وهي تعيش في اللاشعور وفي اضطراب عقلي وسلوكي كبير...

سألها الطبيب من تكلمين الآن؟؟ فلم ترد عليه... فأمسك بذراعيها وهو يقول: أين أنت... أين أنت؟ مكررا السؤال عدة مرات فلم تسمعه إلا عندما قال لها: إن لم تسمعيني وتجيبيني فسأعيدك إلى أهلك... عندها ارتبكت وأصبحت ترتعش خوفا...

فقال لها: تخافين وأنت تسمعيني... أحسن من خوفك وأنت في لاوعيك...

أعاد سؤاله لها: أين أنت ؟ قالت: أنا معك يا طبيبي... وماذا كنت ترددين؟

قالت: كنت أكلمهم... قال: من؟ قالت: الأشرار الذين يريدون إيذائي والنيل مني وجعلوني أرقد هنا في المستشفى...!!

مريضة ..؟؟ لا، أنا لست مريضة هم من وضعوا لي السحر كي أمرض...

قال لها الطبيب: ومن هم الأشرار؟؟

سكتت لبرهة ثم قالت: لا أعرفهم...

قال لها الطبيب: إذن كيف تتهمينهم بسحرك والتسبب بمرضك وتسمينهم الأشرار وأنت من تضرينهم في حقيقة الأمر؟

سكتت مرة أخرى ولم تنطق بحرف...

سألها الطبيب: لِمَ كل هذا الخوف من المجهول، بينما المعلوم والمرئي بين

أيدينا؟؟ أنت لست مسحورة... أنت تمرين بحالة مرضية عارضة، وقد قمنا بعلاجك في المرة الأولى ونجحنا، ولكن عاودك المرض وأنا أتأسف لحالك بعدما عاودتك نوبة جديدة...

فردّت الفتاة متسائلة: وهل سأشفى منها؟؟ أجابها: نعم، إذا اتّبعت نصائحي..!!

سألته بتوسل: هل إنت متأكد؟؟ إنني لست مسحورة؟

قال: بالتأكيد... إنت مريضة، بمرض كأي مرض يستوجب العلاج الكيميائي أو الجلسات، لأن مخك مصاب باضطراب كيميائي يمنع أو يحد من التقاط الإشارات كما ينبغي عبر المستقبلات العصبية...

دكتور: لكن أخت زميلتي أصيبت بالسحر كي يمنعوا زواجها من قبل امرأة تكرههم ثم أخذها أهلها إلى العراف ليفكوا عنها السحر وتأثيره...

ضحك الطبيب وقال لها: لكننا جميعا نادمون لثقتنا بأشخاصٍ عرفناهم بسرعة...

ثم طلب منها رسم أي شيء على دفتر كان أمامه على المكتب، فرسمت مرآة ورسمت أمامها وردة سوداء...

قال لها ما الذي تريدين قوله من خلال هذه الصورة ؟

لم تستطع الرد... قال لها: أحيانا نود قول الكثير من الأشياء ولكن نجد أن الصمت أبلغ مما نود قوله...

ردّت قائلة: كلما أستذكر شريط حياتي الماضية أجد فيه العناء والألم، وعندما

أنظـر في مـرآتي أرى الـدروس المسـتوعبة للقـوة والحـب والإعتـزاز والافتخـار بالـذات... وهـذا الـذي أبحـث عنـه...

قـال الطبيـب: أخرجـي مـا بداخلـك حتـى يـرى النـور فتعيشـينه بسـلام...

قالت: أخجل من مرضي ولا أعلم كيف سأشفى منه...

أجابهـا: ليـس هـذا مـا يتطلـب منـك فعلـه... اتـركي لي حـلّ هـذا المشـكل... (الطبيب هنا علم أين تكمن العقدة، وسيحاول فك شيفرتها).

قـال الطبيـب لوفـاء(الفتـاة المريضـة): ماضيـك كان مـع والديـك حـين كانـت أمـك تضربـك، ولقـد حلّـت المشـكلة ولم تتأملـي ولم تعـاني بعـد تسـامحك، ولقـد عشـت في سـلام، وكـما قلـت لـك سـابقا يجـب معرفـة كيـف ومتـى تكـسر البيضة حتـى نحصـل عـلى الحيـاة، لكننـي أرى أنـك تسرعـت في كـسر البيضـة ولقـد حاولـت دون شـعور معرفـة أيـن هـو داخـل البيضـة وأيـن هـو خارجهـا وأنـت خدشـتها فانجرحـت مشـاعرك... البيضـة هـي أنـت، أو بالأحـرى هـو عقلـك... إذا أخرجـت كلّ تخيلاتـك وأحاسيسـك السـلبية في حينهـا فستشـفين لأنـك الآن هنـا وأمـر علاجـك هنـا وقـد حـان موعـده... وإن قمـت بإخـراج كل مـا لديـك مـن ارتبـاكات وسـلوك غـير متـزن وأفـكار غـير مرتبـة في وقـت واحـد في مـكان غـير هـذا المـكان يعنـي أنـك كـسرت تمامـا ولـن نجـد لـك العـلاج...

بنيتـي وفـاء، كـما ذكـرت لـك فيـما يخـص ماضيـك، أمـا الآن فنحـن نبحـث عـن حـاضرك حتـى تتمكنـي مـن رسـم وتحديـد مسـتقبلك...

الـوردة السـوداء هـي أنـت، بعيـدا عـن عائلتـك، وأنـت إن ابتعـدت عـن عائلتـك

فلـن تجـدي الرعايـة والحنـان، حتـى تكـبري وتصبحـي ذات مركـز مرمـوق بعـد الدراسـة كالـوردة التـي لم تجـد مـن يسـقيها فتذبـل...

ردّت قائلة: كيف لا أبتعد عنهما وهما من يريدان تزويجي دون إرادتي؟

سـألها الطبيـب: أنـت متأكـدة أنهـما يريـدان التخلـص منـك، وأنـت تعلمـين أنهـما يريدانـك بينهـما...؟

قالت: لن أستطيع إكمال الدراسة إن تزوجت...

قـال لهـا: المشـكل في العرافـين ومـن يصـدق جاهـلا ويثـق بهـما... سـأفتح جلسـة معكـم جميعـا نهـار الغـد بـأذن اللّـه...

مـرّت الليلـة بسـلام، وفي الغـد قـدِم الوالـدان وحـضرت الفتـاة إلى الجلسـة... لم تقبلهـما...

قـال الطبيـب: أنـا غاضـب جـدا منكـما... كيـف لكـما أن تحـاولا تزويـج الفتـاة وهـي تـدرس...؟ وكيـف تريـدان أخذهـا إلى العـرّاف بعدمـا رفضـت؟ مـن قـال لكـما أنهـا مسـحورة هـل لديكـما دليـل قاطـع أم أنكـما تجهـلان شرع اللّـه؟ تكلـما... هـل زواج ابنتكـما هـو أفضـل مـا لديكـما لأجلهـا...؟ ألم تجـدا أزواجـا انفصـلا عـن بعـض بسـبب الـزواج القـسري والتعسـفي؟؟ هـل ابنتكـما قـد كـبرت لدرجـة أن فاتهـا سـن الـزواج حتـى تحرصـا عـلى تزويجهـا بسرعـة؟؟ اتقيـا اللّـه في ابنتكـما واسـتغفرا ربكـما ليغفـر لكـما... فصـاح الوالـد، لا أعـرف شـيئا عـن هـذا الأمـر، ولا علـم لي بـكل هـذا...

عندهـا، أصبحـت والـدة الفتـاة تتأسـف وتطلـب السـماح مـن والـد وفـاء ومـن

وفـاء بالـذات، فقالـت وفـاء: لا تتظاهـري بالأسـف وتطلبـي العفـو منـا... أنـه سـهل جـدا الكـذب بـدل الاعـتراف بالحقيقـة... وأنـه سـهل جـدا قـول الحقيقـة بـدل المخادعـة... وأنـه سـهل جـدا الهـروب مـن الواقـع بـدل مواجهتـه... وأنـا لـن أسـامحك هـذه المـرة لأنـك جعلتنـي في كل مـرة أتحصـل عـلى سـعادتي بمعانـاة... قـال لهـم الطبيـب: هـل أنتـم جميعـا أهـل وفـاء عـلى علـم بطبيعـة مرضهـا؟ مرضهـا في مخهـا والسـحر لا وجـود لـه وليـس سـببا لحـدوث مرضهـا... أتعلـمان أنـه إذا مـا زارت أحـد العرافـين أو السـحرة سـيزيد مـن مرضهـا تعقيـدا وربمـا تصـاب بالجنـون حقيقـةً.

فاستغفرت الأم وأصبحت تطلب السماح من اللّه وهي تبكي...

قالت الفتاة: لن أعود معكما أبدا...

قـال الطبيـب وهـو ينظـر إلى والدتهـا: في الحيـاة لا يوجـد مـا هـو أجمـل مـن أن تكونـا محاطـين بمـن تحبونهـم ويحبونكـم والباقـي ليـس لـه أيـة أهميـة...

فتقدّمـت الأم نحـو وفـاء وهـي تقسـم باللّـه أنهـا تحبهـا وأنهـا كانـت تفكـر في سـعادتها لا أكـثر ولا أقـل... قـال الوالـد المسـكين الـذي لا علـم لـه بـكل مـا جـرى ومـا كان سـببا في انتكاسـة ابنتـه: ابنتـي الحبيبـة وفـاء... الإنسـان الـذي لايقـدم شـيئا لأجلـك لا يسـتحق منـك أي عيـاء... وأنـا أطلـب منـك أن تعـودي معـي وأن تسـامحي والدتـك، لأننـي كنـت متواجـدا معـك عندمـا كنـت في شـدة وقـد أحضرتـك أنـا ووالدتـك التـي كانـت ترتعـش خوفـا عليـك... إنهـا تحبـك... صدقيهـا يـا ابنتـي...

قال الطبيب للفتاة: لترضى بما يقوله والدها... وفاء... في الحياة أشياء كثيرة يجب استيعابها... والديك قد أخطئا خطأ كاد يكون، ولكنه لم يحدث والحمد للّه... إنهما لم يجبرانك على الذهاب إلى العراف، واحمدي اللّه أنك لم ترافقي صديقاتك إلى أحد المشعوذين... لقد أخطأتم جميعا...

أحيانا نجد من يتجاهل من هم حوله، ويتقرب ممن هم بعيدون عنه... ومنهم من يرضي من لا يريدون رضاه ويتجاهل من يبحثون عن رضاه...

هذه هي الحياة يا وفاء... والداك يبحثان عن حبك، فلا تتجاهليهم، قد يأتي يوم تبحثين فيه عن رضاهما ولن تجديه...

تقدّمت الوالدة من ابنتها تمدّ إليها ذراعيها لتحتضنها بكل حنان وحب... احتضنتها ودموع الأمومة يفر من عينيها، وبكت وفاء وهي تتوسد صدرها الحاني بنشيج العائد إلى حيث الدفء والحنان وهي تلوم نفسها لكل ما حصل ولأنها مريضة تشعر بأن تصرفاتها خارجة عن إرادتها...

قال لها والدها: كفاك ألمًا ولوما لنفسك... أنا هنا وسأقدم لك كل ما تحتاجينه من علاج ورعاية ابنتي الغالية...

احتضنته وهي تذرف الدموع من عينيها وتقبّل يديه، تشمّ عبق الحنو الأبوي والأمان بين يديه...

هل سيحلّ الطبيب مشكلة المرض، وخجل الفتاة من مرضها؟؟ كيف سيعيد ثقتها بنفسها بالرغم من مرضها...؟؟

سمح الطبيب لوفاء بمغادرة المستشفى برفقة والديها، وقد حدد لها موعدا

بعـد أسـبوع لزيارتـه ثانيـة واعطاهـا علاجـا مـع زيـادة بعـض الجرعـات التـي تناسـب حالتهـا المرضيـة...

بعـد مـرور أسـبوع عـلى مغـادرة وفـاء المستشـفى... حـضرت برفقـة والديهـا إلى المستشـفى، جلسـوا في قاعـة الإنتظـار وحـين نـودي عليهـا مـن قبـل السـكرتيرة تطلـب منهـا الدخـول إلى الطبيـب، طرقـت عـلى البـاب واسـتأذنت في الدخـول برفقـة والديهـا... وألقـت عليـه تحيـة الصبـاح...

طلبت من الطبيب وهي تشعر بفرح وغبطة، دفترا لترسم...

ناولها الطبيب الدفتر وقال لها: دوّني ما تريدين...

تناولـت الدفـتر وبـدأت الرسـم... رسـمت الفتـاة غرفتهـا وأشـياءها المبعـثرة هنـا وهنـاك...

بعد أن أكملت ناولته للطبيب... فقال لها الطبيب: ماهذا ؟

قال : هي غرفتي...

سألها: ما بها؟؟ أجابته: لا أعرف من أين أبدأ بترتيبها...

قـال لهـا الطبيـب: أحيانـا تمـر عليـك دقائـق وأيـام وأسـابيع وأنـت تريديـن إعادة ترتيـب أغراضـك أو تبحثـين عـن حـلّ لمشـكلة مـا ولا تسـتطيعين، فتقرريـن المـضيّ وتـرك كل شـئ عـلى حالـه...

قالت الفتاة: نعم، لكن غرف نوم بنات عمّاتي مرتبة وفي أحسن حال...

فأجابهـا: رتّبـي أفـكارك ، وحـددي خطواتـك وسـتجدي السـبيل لترتيـب غرفتـك ومسـارات حياتـك وسـتكوني بأحسـن حـال...

قالت له: أريد أن أتماثل للشفاء تماما، وألاّ أضطر للعودة إلى المستشفى ثانيةً...

قال لها الطبيب: عقلك مقيّد بمرضك، لهذا السبب لم تستطيعي تغيير حال غرفتك، لأنك لم تحرري عقلك من نطاق تفكيرك بمرضك... ولم تكوني بأحسن حالاتك...

قالت: نعم، ولأنك أنت من قال لي اتركي الأمر لي، فأنا جئت لأجل العلاج والشفاء التام...

قال لها: حسنًا... الأمراض أنواع وأصناف، هذا والدك مريض بضغط الدم كما صرّح لي، وصديقي مريض بالسكريّ، وأنت مريضة بالشيزوفرينيا... وهو مرض كأي مرض آخر يستوجب العلاج بمختلف أصنافه، سواء العلاج الجراحي أو الكيميائي أو الجلسات. .. وتختلف أنواع العلاج من مرض لآخر، وكل مرض له علاجه الخاص به...

ولكي تتلقي علاجك الإيجابي المناسب يجب أن يعطيك تغيرا نوعيا وسلوكيا غير مضطرب وأن تعيشي حاضرك كما هو، لا وجود فيه لأشباح والتخيلات والوساوس والاتهامات، إذن علاجك يعتمد على قوة إرادتك وثقتك بنفسك وبمن حولك... إضافة لما تتلقينه من علاج كيميائي ونفسي... وإذا ما حدث أن انتبهت عائلتك لأي عارض غير سوي في سلوكك وحالتك الصحية فما عليهم إلاّ الإسراع بجلبك للعلاج والكشف المبكّر مباشرة ودون أي إهمال أو تأخير...

قالت الأم وهي تطمئن ابنتها: والأم تريد أن ترى من تحب أن يكون دائما معها لتحيطه بالحب والحنان الذي يستحقه...

قالت وفاء للطبيب: أعجز عن الشكر والامتنان لك يادكتور.

فأجابها: لا تشكريني، فأنا لم أقم إلاّ بواجبي الإنساني وهذا هو عملي...

قالت له: الصراحة تستوجب قول ما نفكر به وأن نفكر قبلا بما سنقول...

ردّ مبتسما: وهذا ما أريدك أن تقومي به حتى أرى صورة غرفتك منظمة مرتبة كتفكيرك السليم...

ردّت: وستراني بإذن اللّه في أحسن حال وكما تحب...

نهض الطبيب من على مقعده وصافح والد الفتاة مودّعا إياهم... فاقتادها والدها من يدها لمغادرة المكتب وبقيت الوالدة بإشارة من الطبيب ليكلمها... وحذّرها من تخويف أو خلق أي نوع من الارتباك لوفاء وإلاّ ستفقدها، فقد تهرب من البيت أو تلقي بأنفسها إلى التهلكة... وهذا سينعكس سلبا على الجميع...

فقالت وهي تؤكد له أنها لن تقوم أو تفعل أيّ شيء يضر بصحة ابنتها الوحيدة ولن تثق إلاّ باللّه لمساعدة ابنتها في محنتها، ولن تلجأ إلاّ للطب في علاجها...

(قرائي الأعزاء... أريدكم ألا تؤمنوا بأن الغاية تبرر النتيجة والنتيجة تبرر الوسيلة... فكما قرأتم في هذه القصة ما كانت الأم تريد الوصول إليه وفي النهاية آلت إليه ما آلت النتيجة، وما وصلت إليه العائلة والمسكينة وفاء...).

مـرضى الشـيزوفرينيا يتشـبثون بشـدة بالمعتقـدات الدينيـة والمشـاعر الروحيـة والوجدانيـة، وإيمانهـم حسـب مفاهيمهـم تفـوق إيمـان الرجـل الصالـح مـن رجـال الديـن....!!!!

قصة الفتاة الكريمة وخوفها من مرضها...

الفتاة كريمة... التي تطاردها الأشباح...

هـدأت واسـتقرت حالتهـا النفسـية بعـد عـدة جلسـات مـع طبيبهـا المعالـج وانتظامهـا في تنـاول الـدواء، إلاّ أنّ فكـرة ظهـور النـور في عالمهـا كي تـرى ملامـح وأطيـاف الأشـباح لا زالـت تطاردهـا، حتـى جـاء اليـوم الـذي كان فيـه والدهـا جالسـا يشـاهد برنامجـا وثائقيـا عـن عالم الحيـوان في جهـاز التلفـاز وكانت تجلس قربـه... فجـأة، وعـلى حـين غـرّة، ثـارت ثائرتهـا بوجـه أبيهـا وهـي في حالـة هلـع واضطـراب وهـي تشـبهه بالنمر المفترس، وتناولـت زهرية وردٍ فـوق الطاولة قريبة منهـا ورمتهـا بقـوة محطمـة شاشـة التلفـاز وهـي مذعـورة، ثـم مـا لبثـت وهـي تشـد يديهـا حـول رقبتهـا وهـي تـصرخ قائلـة: إني أختنـق... اتركـوني، لا تقتلـوني... أخذهـا والدهـا عـلى جنـاح السرعـة إلى المستشـفى في ليلـة شـتاء ممطـرة حزينـة، أضفـت عـلى الأسرة كلهـا حزنـا ووجومـا...

مـرّت مـدة مـن الزمـن كانـوا فيهـا هانئـين، آمنـين مطمئنـين عـلى ابنتهـم، لأنهـا كانـت تحـت رقابتهـم ومتابعتهـم ورعايتهـم لهـا وإعطائهـا العـلاج بانتظـام...

بعـد أن قضـت فـترة مـن العـلاج وتصالحـت مـع والديهـا، ورسـم لهـا الطبيـب مخطـط السـلام الـذي ستسـيره وتتعايـش بـه مـع مـن حولهـا في حيـاة منسـجمة

تخلو من البغض واللوم ليس فيها غير الهدوء وراحة البال...

بعد وصولهما إلى المستشفى، قام الفريق الطبي بإعطائها حقنة مهدّئة، بتوجيه من الطبيب المناوب الذي كشف عن حالتها وكتب تقريره الطبي عن الحالة ليراها الطبيب المختص المعالج ويقرر جرعات الدواء لحالتها الجديدة بعد إصابتها بنوبة الذهان والتي سببت لها مفارقات ذهنية متقدمة جدا، تستلزم وقت طويل لإعادتها إلى حالتها الطبيعية ولو بصورة نسبية... لأن الشفاء التام غير ممكن فالمرض مزمن كما ذكرنا سابقا...

استسلمت الفتاة لنوم عميق وهي تحت تأثير الإبرة المهدئة... وعند استيقاظها بعد ساعات جالت بنظرها أجزاء المكان... لم تعرف أين هي ولم تتعرف على من حولها من الراقدين في المستشفى، بل كانت تراهم بصور حيوانات وهي تشد برأسها وتحركه يمينا وشمالا في حالة انفعالية شديدة وهي تصرخ وتردد... إني أختنق... اتركوني وشأني... تعالت صرخاتها فنودي على الطبيب الذي كان منشغلا بالكشف عن الحالات المرضية للحالات الطارئة التي تحضر للمستشفى..

جاءها على الفور وقال لها: بنيتي كريمة، ما الذي أصابك...؟

تعرّفت على طبيبها بسرعة وهي تؤمن أنه منقذها...

تأسف الطبيب لحالها وقال: لم تتمكن الفتاة من العيش في حياة سعيدة ما لم تشعر بالأمان والسلام داخلها ومن حولها... أنها غاضبة وتعيش حالة من الرهاب مما رأته وتراه وتؤمن بوجوده رغم أنه غير حقيقي بل هو خيال

رسم في ذهنها فأصبحت تخافه جدا... أنها تعيش وكأنها عالقة وسط غابة موحشة تمتلئ بالوحوش الضارية...

كيف ستعود الفتاة إلى عالم الوعي بعد سجنت وقيّدت بشدة في عالم اللاوعي هذه المرة؟؟؟

كيف كان ماضي الفتاة الذي كان له الأثر المباشر لإصابتها بالشيزوفرينيا؟؟؟

في طفولتها... كانت والدة الفتاة ترهبها من العالم الذكوري وتمنعها من هذا العالم الذي تصوره لها وكأنه عبارة عن وحوش مفترسة، مما خلق لها عالم الأشباح الذي تهابه، والآن ترى شكل الأشباح بصور حيوانات مفترسة في غابة موحشة... بمعنى أن الفتاة عاشت في صغرها صدمات خلقت لديها عوائق أمام تطورها العقلي السليم...

ربت الطبيب على كتفي الفتاة وهو يقول: لا تخافي يا ابنتي، أنا هنا معك ولن أخذلك...

كنت تبحثين عن النور!! أيس كذلك...؟

قالت: نعم، ورأيت بصيصا صغيرا منه، لكنه بعيد جدا...

أجابها: أعماقك لا تزال مظلمة... وعليك مساعدتي لأخرجك من هذه الظلمة...

قالت وهي تؤكد له أنها تحاول الخروج والابتعاد عن هذه الظلمة... لكنها تتبعها كظلها...

أجابها: ما دمت ترين بصيصا من النور فهذا كفيل أن يظهر لك آفاق

جديـدة مـن النـور، ويفتـح المسـامات المغلقـة بداخلـك، لينـير لـك طريقـك في حيـاة ينبـع منهـا نـورا داخليـا يتمثـل بإيمانـك...

سـألها الطبيـب: أخبريـني مـا الـذي أخافـك ووصـل بـك الحـال إلى مـا وصـل... مـا الـذي حـدث؟؟؟

إجابتـه وهـي ترتعـد خوفـا: النمـر والحيوانـات المفترسـة التـي مثلـه تلاحقنـي وتحـاول خنقـي وافـتراسي...

سألها: هل أنت في غابة؟ ألست في المستشفى؟؟

قالـت: لاااا... بـل أنـا عالقـة في غابـة موحشـة مظلمـة والقـوي فيهـا يـأكل الضعيـف...

قـال لهـا الطبيـب بصـوت يبعـث عـلى الحمايـة والرعايـة.. هـوّني عليـك يـا ابنتـي ولا تخـافي.. سـتكوني بخـير وتتخلـصي مـن مخاوفـك، ونحـن هنـا لعلاجـك ومسـاعدتك... اطمئنـي يـا ابنتـي، ومسـح عـلى رأسـها بيديـه...

(الفتـاة بسـلوكها القديـم غـير المتـزن خلـق عندهـا رهـاب مـن والديهـا في الحـاضر...)

الخـــــوف...

كثـير مـن البـشر سـواء كانـوا مـرضى أو أصحّـاء يعتقـدون أن الشـجاع فقـط مـن يسـتطيع التخلـص مـن مخاوفـه... لا يدركـوا أن الخـوف والشـجاعة غريزتـين يعيشـهما الإنسـان بتلقائيـة وشـعور حـسيّ نورولوجـي بشـكل طبيعـي... وعنـد الشـعور بالخـوف مـن أشـياء غـير موجـودة فهـذا يعنـي وجـود خلـل وبـادرة

إشـكالية ومـا عـلى الفـرد إلاّ مواجهـة مخاوفـه ليـدرك أنهـا مجـرد أوهـام وتخيـلات لا صحـة لهـا ولا وجـود لهـا... أمـا المريـض المصـاب بهـذا الرهـاب فـما عليـه إلاّ الإلتـزام بإرشـادات الطبيـب والانتظـام في تنـاول علاجـه...

وهنـا في هـذه الحالـة... كيـف سـيخلق الطبيـب عنـد الفتـاة الشـجاعة الكافيـة لمواجهـة مخاوفهـا وتخطيهـا حواجـز الخـوف...؟؟؟

لا يوجـد شيء ثابـت في الحيـاة، وكل شيء متعـرّض للتغـيرات... قـال الطبيـب للفتـاة...

أجابتـه: وكيـف سـأتغير وأتخلـص مـن مخـاوفي وأمتلـك الشـجاعة لمواجهتهـا... كيـف سـأصبح شـجاعة...؟؟

قـال لهـا: النجـاح لا يتطلـب منـا المتابعـة والعـلاج فحسـب... بـل يتطلـب أيضـا أن تكـوني الفتـاة التـي تريديـن أن تكونيهـا... أن تنجـذبي لشـخصية الفتـاة الشـجاعة وتكونيهـا أنـت...

قالـت لـه: لكنـي يـا دكتـور أخـشى وأخـاف مـن المعانـاة، وقـد عانيـت كثـيرا...

فـردّ عليهـا: لكنـك تعانـين مـما تخـافي، وأنـت الآن تخافـين مـن الحيوانـات التـي رسـمتها في مخيلتـك وأصبحـت تريـن كل مـن حولـك حيوانـات مفترسـة تحـاول قتلـك...

قالـت لـه كريمـة: وهـل الحيـاة أسـهل مـن هـذا وأنـا مـن أراهـا أشـد صعوبـة وأكـثر رعبـا وخوفـا؟؟

ردّ عليهـا الطبيـب: سـأكون صريحـا معـك... أنـت الآن تمريـن بنوبـة شـيزوفرينيا

حادة، نلاحظها نحن الأصحاء والأطباء في سلوكك غير المنتظم وفي المفارقات الذهنية التي تجعلك تعيشين ذهانا عميقا أسودا مخيفا من التخيلات...

فاندهشت قائلة: هذا كله؟؟؟

أجابها: وهذا كله خلق لديك رهاب شديد... علاجك هذه المرة صعب ويجب عليك مساعدتي كي ننجح في الوصول إلى ما يرضينا جميعا، وخاصة والديك...

طلب الطبيب من الفتاة رسم أيّ شيء يجعلها تشعر بالخوف، أو كتابة ما يجول بخاطرها من أفكار موحشة...

لكل صورة يرسمها المريض النفسيّ معانٍ وترميزاتٍ لها دلائلها وشيفرتها التي يفك أسرارها وأبعادها النفسية الطبيب النفسي المختص، وهي طريقة يعبّر فيها المريض عن كل مخاوفه دون أن يشعر، فتهدئ من روعه وتجعله يقترب من واقعه بتريّث بلمسة قلم أو ريشة رسم وتحكّمه بخياله حين بنتهي من الضغط على الورق وترك أثر الرسم...

في الجلسة التالية في نهار يوم جديد رأى الطبيب ما رسمته الفتاة، وسألها: ما هذا ؟

ردّت قائلة: أنا فوق جذع النخلة، وهناك نمر بأنيابه الحمراء يحوم حول النخلة يحاول افتراسي...

سألها الطبيب: أنت بواحةٍ أم غابة...؟

أجابت: كنت في غابة قبل أن أحدثّك عن خوفي...

قال لها: ولماذا أنت في الواحة؟

قالت: لأن نور الشمس غير منقطع عنها، وأشعر فيه بدفء بدل الجمود الذي كنت أعيشه...

قال لها: هل أنت من أهل الصحراء؟؟

أجابت: نعم، أصلي من الصحراء...

قال لها: إذن ابحثي في ماضيك، من تكوني وعيشي هذه الشخصية، لأن قدرك مرسوم على هذه الأرض...

طيب، ولماذا هذا النمر؟

قالت: إنه الوحش الذي يخيفني...

أجابها: لكن في صحرائكم لا توجد نمور، لماذا رسمته في واحتكم؟؟

قالت: لقد تبعني منذ صغري وهو يريد التهامي.

قال لها الطبيب: النمر هو صورة الذكر في مخيلتك والتي كانت والدتك تخيفك منهم... وأنمت ترينهم خطر يحوم من حولك... والنخلة هي شجرة عائلتك التي تلوذين إليها وتحميك، ولنقل أنها تمثل والديك...

تاهت الفتاة فيما قاله لها الطبيب ثم ردّت قائلة: أيعني حقا هذا ما فكرت فيه ورسمته؟

أجابها: لست أنا من يقرر إذا ما قلته صحيحا أو خطأ... أنت من عليها إيجاد مخرجا نحو النور ينير لك سبيلك... ما عليك إلا البحث في الحقيقة فيما قلته، عيشي الحقيقة والباقي سيأتي لوحده في الوقت المناسب...

قالت: حقيقةً أظن أن كلامك صحيح...

قال: حسناً، ما دمت ترين هذا، فهذا يعني أنك تفكرين بعقل سليم... فكّري إذن واسترخي بعد هذا الحديث وسأراك غدا بأذن اللّ...

ابتسمت وقالت له: شكرا لك... مع السلامة...

ردّ عليها: في أمان اللّه وحفظه...

بعد مغادرة الطبيب، استرسلت في استرخائها وهدوئها وقبل دقائق من توزيع طعام الغداء على المرضى كتبت على ورقة:

(سأؤمن بحقيقة ما قاله الطبيب عندما رآها)... أغلقت الدفتر وذهبت مسرعة إلى الممرضة لتأخذ دوائها قبل الغداء...

أمر مريح... لأنها لم تتوقف عن أخذ الدواء، ولم تنس وقته المحدد... أنها تبحث عن العلاج والشفاء... تعلم بذلك لكن لاوعيها يجعلها لا تؤمن بما يجب الإيمان به...

مرت الليلة بسلام...

وفي صبيحة اليوم التالي رأى الطبيب ما قدمته له المريضة كريمة، فاستبشر خيرا قائلا لها: حتى نكون من المستبشرين مثلي في هذه اللحظة يجب أن تقولي، سأرى الحقيقة عندما أؤمن بوجودها، لأن الحقيقة هي الواقع المعاش في الوعي لا باللاوعي...

أعادت الرسم ولكن غيّرت الصورة من صورة نمر إلى صورة رجل مخيف.. ورآها الطبيب... وقال لها: جيد... لأن أجمل شيء في الحياة عندما نجد

البشر يتغير بتغير أفكاره وخاصة من التفكير السلبي إلى التفكير الإيجابي، وأنت الآن بدأت في التغيير عندما غيرت الصورة بوجهها الحقيقي بصورة رجل في واحة الطفولة ... ولكن خوفك منه لا يزال مستقرا ولم يتغير... بمعنى لم نصل النتيجة بعد... يا بنيتي .. حضّري نفسك لاستقبال كل شيء جميل تقدمه لك الحياة... يعني يجب رؤية الحياة من ركنها الإيجابي... رؤية الجمال فيها بنفسية متفتحة وباستقرار سلوكي والتخلص من الخوف... أنا من البشر ومن الرجال لكنك لا تري فيّ ذاك الوحش المفترس... فباختيارك السليم لهذا الجنس كما فعلت معي سيجعلك تعيشين بهدوء مع والديك ومع المجتمع... انزلي من أعلى النخلة وعيشي حياتك...

تناولت دفترها ورسمت عائلتها الكبيرة المقربة إلى قلبها في دائرة وهي داخل الدائرة... وأرجل المتوحش بعيدا عنهم... ورسمت نهرٍ جارٍ بجانب النخلة... ثم قدّمت مارسمته إلى طبيبها...

قال الطبيب: العلاقات العائلية هي حتما المرآة العاكسة لما نعيشه من هدوء... والمرأة في هذه الصورة هي الماء الجاري بجانب النخلة... وتمثل الهدوء والحب والعطاء الدافق...

أقول... لا يوجد شيء مشجع بقوة أكثر من القدرات الغير مقدّرة لأبن آدم الكامنة في أعماق نفسه والتي تحفزه وتكون له دافعا إضافيا لتشبثه بالحياة باذلا كل جهوده للدفاع عنها في عقله الواعي...

ثم أردف قائلا: يا بنيّتي... الإنسان الشجاع ليس الذي لا يشعر بالخوف، إنما

هـو الـذي يتغلـب عـلى مخاوفـه في موقـف الـصراع بـين أن يكـون أو لا يكـون... وأنـت والحمـد للّـه، سـلكت طريـق البحـث عـن كيفيـة التغلـب عـلى مخاوفك... وهـا أنـت أحـضرت عائلتـك للتخلـص والتغلـب عـلى خوفـك القديـم الـذي لازمك منـذ الصغر...

ثـم بعـد تركيـزه أكـثر عـلى الصـورة، قـال لهـا: الشـجاعة ليسـت بعـدم تواجـد الخـوف، الشـجاعة هـي بمواجهتـه والانتصـار عليـه...

قال: هل يمكنني استخدام قلمك، دكتور..؟

قال لها: نعم، تفضلي، وناولها القلم...

قامت بإعادة رسم الصورة، ماحيةً صورة الرجل المتوحش...

سألها: لماذا محيته...؟؟

قالـت: لأني تغلبـت عليـه، وأزلـت الخـوف الـذي يسـكنني منـه... ولـن يعـود مجـددًا... فأنـا في حمايـة عائلتـي...

سألها: طيب وكيف ترين والدك الآن ؟

أجابـت: أراه والـدي الحنـون، الـذي أشـعر بوجـوده معـي بالأمـان والقـوة... أراه مثلـك عطوفـا حنونـا... لكننـي أخافـه عندمـا يحـذرني ويوصينـي بالابتعـاد عـن أقربـائي وأصدقـائي وجميـع مـن أعرفهـم...

قال: لا عليك... سأبحث هذا الموضوع معه لاحقا...

(أحيانـا كثـيرة، يظـن أوليـاء الأمـور أن حرصهـم ومخاوفهـم عـلى أبناءهـم أكـثر مـما يجـب يصـب في مصلحتهـم للحفـاظ عليهـم وإبعادهـم عـن كل شيء ممكـن

أن يسيء لهم أو يتسبب لهم بأي أذى... هذه المخاوف الخارجة عن حدودها الطبيعية تخلق في أحيانٍ كثيرة أمراضا نفسية تمتد أبعادها منذ الصغر وتلازمهم وهم في مراحل متقدمة من العمر... لا تتركهم ينمون بصورة سوية، ولا يتأقلمون مع واقعهم بشكل طبيعي... تتسبب في تأخرهم عن إقرانهم في الدراسة، لا يستوعبون ما يسمعونه من غيرهم... ويتصورون أشياءً بعيدة عن الواقع في مخيلتهم لا يتسيغها ولا يتقبّلها الدماغ، ويؤمنون بما يرونه في مخيلتهم بقوة، حتى يصل لدرجة الحالة المرضية والهوس والتفكير اللامنطقي...)

أنهى الطبيب جلسته الطبية مع الفتاة قائلاً لها: صورتك وصورة من حولك هي انعكاس لصورة من هم في داخلك، وليت الصورة التي تعكسينها للعالم الخارجي عن شخصك...

بنيّتي: في الحياة يوجد دائما معنىً مختلف عما تتصورينه... وهذا انعكس عليك سلبا في كل نوبةٍ أصابتك... هذا المعنى هو بالضبط درس تستخلصين منه إبعاد مخاوفك وهواجسك في أعماق نفسك... ثم تتخلصين من كل هذا لتكوين شخصيتك وكينونتك وحياتك الجديدة بعيدا عن كل ما يثير خوفك... الخـــــوف، يولِّـــــد الخـــــوف...

أوصى الطبيب في ملاحظاته التي دونها في ملف الفتاة الطبي إمكانية مغادرتها المستشفى برفقة والديها عند أول زيارة لهم...

وفي موعد الزيارة حضر الوالد مستفسرا عما وصلت إليه حال ابنته بعد فترات العلاج...

قال له الطبيب: ابنتك تشعر بعدم الاستقرار النفسي، وتشعر بالخوف والارتباك ممن حولها، وكل هذا بسبب مخاوفك وحرصك الزائد عن حدّه، وتشديدك عليها بالابتعاد عن زملائها وأقرائها وجيرانها...

أجابه الوالد: كما تعلم يا دكتور ما آلت اليه حالة ابنتي الصحية والنفسية، وأنت أعلم مني بطبيعة مرضها النفسي، وإن أنا تركتها قد تتعرض لأي هزّة نفسية يتسبب بها كل من هبّ ودبّ ويجرح مشاعرها أو ينتقص منها ويعيبها في حالتها المرضية... ولن يحميها من ذلك غير أن أبعدها عما يسيء لها فتنتكس وحالتها وتكون النتائج وخيمة ويقع من نخشى عاقبته...

تأسف الطبيب بحزن وقال للوالد: الخوف يسيطر عليكم جميعا... أنت وأمها وابنتكم ورثت هذا الخوف منكم... وعليكم أن تتخلصوا من مخاوفكم وهواجسكم ودعوا الأمور تجري على هواها بصورة طبيعية مع المراقبة والمتابعة من بعيد لتعيش ابنتكم بصورة طبيعية في واقعها وتكتسب من القوة والثقة بنفسها ما يؤهلها لمواجهة الحياة كباقي الأبناء...

أدرك الأب إسرافه في خوفه والذي كان جزءًا من أسباب انتكاسة حالة ابنته الصحية ووعد الطبيب خيرا على أمل اللقاء في القريب لكن من أجل اكتساب وانتهاج سبل إيجابية في تربية ومساعدة الأبناء.....!!

القصة الرابعة...

الفتاة والنتائج الخطيرة للشيزوفرينيا.....!!

كانت الفتاة مصابة منذ صغر سنها بالتهاب السحايا الذي يتسبب في خلل في المخ وإصابة بالشيزوفرينيا... والتي جعلتها تعيش مفارقات وحالة ذهان واضطراب نفسي وسلوكي حادّين...

أفكارها متداخلة متشابكة مركّبة بشكل غير طبيعي، كأنها تعيش أفلاما عديدة في فلم واحد لمدة تقدّر بالساعات الضوئية... وكأنها تسبح بخيالها في فضاء سحيق محاولة الوصول إلى المريخ...

ذات يوم وبينما كانت والدتها منشغلة بتطبيب زوجها الذي أصيب بوعكة صحية حادّة فجأة فلم تنتبه لبرهة من الوقت من مراقبة ومتابعة ابنتها المريضة... حتى سمعت جلبة كبيرة وصراخا أمام بيتها وأحدهم يطرق الباب بقوة وبسرعة وينادي عليها بأعلى صوته ففتحت الباب وإذا به يخبرها بسقوط ابنتها من شرفة المنزل... خرجت مسرعة وهي تبكي وتصرخ مولولة وفي حالة هلع وخوف، وحين وصلت سيارة الإسعاف تم نقلها وابنتها إلى المستشفى بسرعة... والد الفتاة كان عاجزا عن الحراك محتارا خائفا لما أصاب ابنته... وزادت مخاوفه وحيرته بعد ساعات ولم تعد زوجته من المستشفى... (حين يكون أحد أفراد العائلة مريضا أو حتى حين يصاب بعارضٍ مرضي، تجد أن العائلة كلها تشاركه ألمه ومرضه، حتى لَا يشعر المريض أنه ثقيل عليهم... فما بالك بالمريض النفسي

والعقلي والذي يحتاج لصبر ورعاية وعناية أكثر من غيره...؟ الفتاة لا ذنب لها، والأم المسكينة كذلك... فهي وحدها التي تتحمل عبء القيام بكل المسؤوليات من إدارة المنزل إلى العناية وتقديم الرعاية للجميع... لذلك انشغلت بمرض زوجها الذي كان سبب عدم انتباهها لابنتها)...

وصلت سيارة الإسعاف إلى المستشفى فتلقاها الفريق الطبي بسرعة وتم نقل الفتاة وأمها التي أصيبت بغيبوبة بسبب الصدمة إلى صالة الطوارئ المستعجلة... وكان اهتمامهم أكثر بالفتاة التي كانت تنزف من فمها وعينيها... وتم نقلها إلى صالة العمليات الجراحية لإنقاذ حياتها... أما الأم فتم حقنها بإبرة مهدئة وإعطائها المغذي الوريدي وإجراء بعض الفحوصات اللّازمة لها...

وحين أفاقت من غيبوبتها هرعت مسرعة للبحث عن ابنتها، فاخبروها أنها بخير وهي في غرفة العمليات ولا يمكن رؤيتها حتى انتهاء العملية الجراحية ونقلها إلى غرفة العناية المركّزة واستعادة وعيها تماما...

لاحظت الأم أن عينيّ ابنتها مضمدتين... سألت الطبيب ما الذي أصابها...؟

أجابها الطبيب: إنها بخير، لا تقلقي وهي تحت الرعاية الطبية... ابنتك على قيد الحياة وهذا هو الأهم...

قالت: لماذا؟ وما الذي أصاب عيناها...؟؟

أجابها: للأسف، عيناها قد فقئتا بسبب حادثة السقوط، ولم نستطع فعل شيء سوى إنقاذها من الموت وإيقاف النزيف، والحمد للّه تمكنّا من ذلك بتوفيق من اللّه...

بكت الأم وهي تلوم نفسها لما حدث لابنتها بسبب انشغالها عنها لدقائق فقط...

(ولكن أصدقائي... ليس في اليد حيلة... وهذا قضاء اللّه وقدره)

هدأها الطبيب وقال لها: ابنتك كانت تعاني من ذهان واضطراب سلوكي... هل تلقت العلاج عند طبيب نفسي متخصص...؟

قالت: نعم، ولقد فعلنا المستحيل لأجل شفائها... لم نستطع ضبط سلوكها وتعليمها أن الفوضى تخلف الأسى والحزن...

ردّ الطبيب: الأمر ليس بأيديكما، بل هو قضاء اللّه وقدره... هناك من يتمتعون بكامل قواهم العقلية وسقطوا من الشرفات... منهم من مات ومنهم من أصيب بإعاقة تلازمه طيلة حياته...

تنهّدت الأم وقالت: ربما بعد الآن ستكون بخير بعد أن فقدت بصرها لأنها لن تعرف مكان النوافذ والشرفات، ولن تؤذي نفسها أكثر...

تذكّرت بعدها أنها قد تركت زوجها المريض لوحده في البيت...

قدمت شكرها وامتنانها للطبيب واستأذنته عائدة للبيت لتكمل رحلة عطائها وبذلها في الحياة...!!

انتهت بتوفيق من اللّه وفضله

الكاتبة الأديبة سهام بن لمدق